

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها



تخصص: أدب مغربي.

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر.

## مخوان المذكرة:

شعرية لغة السروني رواية أن ترحل - للطاهر بن جلون - مقارنة  
حولية-

إشراف الأستاذة:

- نورة بعيو .

إعداد الطالبة:

- سعدية مجبر .

أعضاء لجنة المناقشة:

د. سامية داودي، أستاذة محاضرة (أ)، جامعة مولود معمري، تيزي- وزو..... رئيسا  
أ/د. نورة بعيو، أستاذة التعليم العالي، جامعة مولود معمري، تيزي- وزو ..... مشرفا ومقررا  
د. أوريدة عبود، أستاذة محاضرة (أ)، جامعة مولود معمري، تيزي- وزو ..... ممتحنا

السنة الجامعية: 2015/2014.

# إهداء

إلى أخي "أزواو" في رحمة الله...على الرّغم من رحيلك المبكر، تظلّ حاضرا ترافقتني حيثما وليت وجهي، رحمك الله برحمته الواسعة وأسكنك فسيح جنانه، ورحم الله موتانا وموتى المسلمين أجمعين.

إلى الوالدين الكريمين.

إلى جدتي "فاطمة" أطال الله عمرها

إلى خطيبي و رفيق دربي "رمضان"

إلى إخوتي وأخواتي.

إلى من جعلهم الله إخوتي وأحبّتي: صليحة، ليلة.

إلى من أتمنى أن أذكرهم إذا ذكروني.

إلى القلوب الطاهرة والنفوس البريئة: عمر، سعيد، أزوار، عبد العزيز.

إلى من ساعدني في انجاز هذا العمل ولو بكلمة طيبة، أهديهم ثمرة جهدي.

سعدية

---

## شكر و عرفان

الحمد لله على ما أجزل علينا من عظيم فضله، ثم الشكر موصول إلى كل  
أساتذة اللغة العربية، بجامعة مولود معمري، وفي مقدّمهم الأستاذة المشرفة  
"نورة بعيو"، التي كانت لنا زعم الموجّه والسند، على صبرها الجميل، وأعضاء  
لجنة المناقشة، الذين ستوكل إليهم مناقشة هذا البحث، كما لا يفوتني أن  
أتقدّم بجميل العرفان والامتنان لأستاذة الذين مدوا لي بيد العون، وأخصّ  
بالذكر الأستاذ "بشير بوسنة"، الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته ونصائحه، ألفه  
تحية وتقدير لهم.

مقائمة

إنّ المتنبّع للحركة النّقدية المعاصرة يدرك مدى عنايتها الاستثنائية بالمصطلح النّقدي، انطلاقاً من كون أنّ الإبداع الأدبي يساير الحركة النّقدية، فإنّ من بين غايات النّقد الأدبي هو تحديد عناصر الهوية الجمالية، التي تميّز الخطاب الأدبي عمّا سواه، وهذا ما يعبر عنه مفهوم الشعريّة منذ أرسطو إلى عصرنا هذا. فالشّعريّة من المصطلحات النّقدية التي أسالت الكثير من الحبر، فهي تعني في عمومها القوانين التي تتحكّم في إنتاج الخطاب الأدبي، فقد أحدث هذا المفهوم تضارياً في الآراء بين النّقاد سواء أكان ذلك على مستوى ترجمته التي اتّخذت وجوهاً متعددة، أم على مستوى الممارسة.

تعدّدت الدّراسات النّقدية التي مثّلت فيها الشعريّة قطب البحث، فالجدة في هذه الدّراسة تكمن في تناول الشعريّة كمصطلح أولاً، وفي المدوّنة التي اختيرت للبحث ثانياً فجاءت هذه الدراسة موسومة بعنوان: شعريّة لغة السرد في رواية "أن ترحل للطاهر بن جلون" حيث ركّزت هذه الدّراسة على مصطلح الشعريّة في الدّرس النّقدي عموماً، وكيفية اشتغال الرّوائي على اللّغة عبر هذا المصطلح في رواية أن ترحل.

وكان الدّافع لاختيار هذا الموضوع هو الطّبيعة الزّنبقية لهذا المصطلح، وتعدد الأبواب التي طرقت، ومع ذلك لم تغلق ولم يتمّ الحسم فيها، فقد شكّلت مجالاً رحباً لا يقبل التّجاوز، فهو موضوع متشعب، يتطلّب الكثير من الدّقة والتركيز لتمحيص الآراء المختلفة الواردة في مراجع كثيرة ومتعددة، أما الدّافع الأوّل وراء اختيار هذه المدوّنة كونها تحوي شعريّة اللّغة من منظور النّاقِد الرّوسي ميخائيل باختين، ممّا ساعد على الوقوف عند الإبدالات، التي تمرّ بها شعريّة اللّغة من مستوى إلى آخر، ومن مظهر لآخر. والسبب الثّاني لاختيار هذه المدوّنة هو محاولة لفت الانتباه للدّراسات النّقدية على مستوى المغرب العربي خاصة في مجال الشعريّة وإثبات أنّها لا تقلّ شأنًا عما وجد لدى الغرب.

حاولت من خلال هذا البحث الإجابة عن الإشكالية، والتي تفرعت بدورها إلى مجموعة من الإشكاليات الجزئية، مثل: فيما تكمن شعرية لغة السرد في رواية "أن ترحل" للطاهر بنجلون؟ وما هي مستوياته؟ وما هيتمظهرات شعرية اللّغة في نص المدوّنة؟

وكان دليلنا المنهجي في هذه الدراسة مزيجا بين إجراءات منهج النّقد الحواري، الذي يعتبر ضروريا لطبيعة الدراسة، ، بالإضافة إلى بعض إجراءات نظرية التفاعل الأجناسي.

تكوّنت خطة بحثي من تمهيدوفصلين وملحق وخاتمة، خصصت التمهيد للتعريف اللّغوي والاصطلاحي لمصطلح الشّعريّة، وكذا البحث عن المصطلح في الفكر الغربي والعربي، أما الفصل الأوّل فقد تمثّل في المستويات اللّغوية وأنماطها في رواية "أن ترحل"؛ حيث قسمناه إلى مبحثين؛ يتحدث الأوّل عن تجليات المستويات اللّغوية، والثاني عن لغة الجماعات الاجتماعية، ويحتضن كل مبحث عددا من العناصر، ويحمل الفصل الثّاني عنوان تمظهرات شعرية اللّغة، وقسمناه بدوره إلى مبحثين؛ تناولنا في الأوّل حول مركزية اللّغة/ اللّغة الأمّرة، أما الثاني فقد تعرضنا إلى لا مركزية اللّغة/ اللّغة المقنّعة داخليا، بالإضافة إلى لغة ثالثة: هي اللّغة المطيعة/ تابعة، وكلّ من هذه المباحث تتناول بدورها عناصر مختلفة، وانتهى البحث بخاتمة، لخصت مختلف النتائج التي توصلت إليها الدّراسة.

أما مرجعية البحث فقد استندت إلى مجموعة من المصادر والمراجع، نذكر في بدايتها المدوّنة الموسومة بـ"أن ترحل" للطاهر بن جلون، وكتاب مفاهيم الشّعريّة لحسن ناظم والشّعريّة العربيّة -مرجعياتها وأبداالاتها النّصيّة- لمشري بن خليفة، وكذا مراجع مترجمة مثل الشّعريّة لتزفيتان تودوروف، والخطاب الروائي لميخائيلباختين... وغيرها.

لا يخلو أيّ بحث من صعوبات تشكّل في الوقت نفسه حافزا للمضي قدما نحو الهدف المنشود، لعلّ أهمها في هذه الدّراسة تشعب الموضوع، وبالتالي صعوبة السيطرة

عليه سبب كبر حجم المدوّنة الكبير، وكذا قلة الدّراسات التي تطرقت لموضوع شعرية لغة السّرد، في هذه الرواية بالذات.

وأخيراً، لا يفوتنا إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة "نورة بعيو" على ما بذلته معنا طيلة مسار هذا البحث و ما قدمته لنا من توجيهات ونصائح التي لولاها لما وصل هذا الجهد إلى نهايته.

و في الأخير نأمل أنّنا وقّنا و لو بنسبة ضئيلة في تقديم بحثنا هذا، وما التّوفيق إلّا بالله.

# تمهيد:

## الشعرية/رحلة المفهوم

1- البحث في دلالة مفهوم الشعرية.

أ- الدلالة اللغوية.

ب- الدلالة الاصطلاحية.

2- الشعرية في الفكر الغربي.

3- الشعرية في الفكر العربي.

يعتبر مصطلح الشعرية من بين المصطلحات النقدية، التي شابها الكثير من الغموض سواء أكان ذلك على مستوى صياغتها أي ترجمتها أم على مستوى تحديد مفهومها، والسبب في ذلك أنّ المصطلح يتداخل عند علماء الغرب مع علوم أخرى وفروع ظهرت نتيجة تطور العلوم اللغوية وظهور اللسانيات، أما على مستوى المصطلح فهو واحد (poetic) ذو الأصل اليوناني في حين ظهر هذا المصطلح عند العرب بصيغ متعددة وبتعاريف متنافرة. نظرا للطبيعة الزئبقية لهذا المصطلح واختلاف تعريفه باختلاف الأمم التي احتضنته، فإنّه من الصّعب الخروج إلى مفهوم محدّد ودقيق لهذا المصطلح، «ويبقى البحث في الشعرية محاولة فحسب للعثور على بنية مفهومية هاربة دائما وأبدا... سيبقى دائما مجالا خصبا لتصورات ونظريات مختلفة»<sup>(1)</sup>، فالشعرية موضوع كثير التشعب وطيد الصلة بسائر علوم اللّغة، لذا فهو «يستدعي منا تحديد المصطلح والمفاهيم وهذا المسعى محفوف بالمزالق، لأنّ الشعرية تتضمن معاني متعددة غير متساوية من حيث الحضور النقدي»<sup>(2)</sup>، وهذا لأنّ الشعرية تشهد خلافا بين النقاد على المستوى الاصطلاحي وكذا على المستوى المفاهيمي فقد اختلف في كونها نظرية أم منهج أم وظيفة من وظائف اللّغة.

## 1- البحث في دلالة مفهوم الشعرية:

### أ- الدلالة اللغوية:

إذا عدنا بهذا المصطلح إلى أصله اللّغوي العربي وجدناه يعود إلى الجذر الثلاثي "شعر" حيث سنحاول تتبع المعاني التي يحملها من خلال المعاجم.

ورد في مقاييس اللّغة أنّ «الشين والعين والراء أصلان معروفان، يدل أحدهما على ثبات والآخر على علم وعلم... شعرت بالشيء إذا علمته وفطنت له...»<sup>(3)</sup>.

1- حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص10.

2- مشري بن خليفة: الشعرية العربية - مرجعياتها وإبدالاتها النصية - وزارة الثقافة، الجزائر، دط، 2007، ص19.

3- ابن فارس: مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، مادة (شعر)، دار الجيل، بيروت، ط1991، ص193.

و«شعر فلان: قال الشعر...وما شعرت به: ما فطنت له وما علمته»<sup>(1)</sup>، ولم يبتعد لسان العرب عن هذه المعاني، إذ نجد فيه «شعر: بمعنى عَلم...وليت شعري أي ليت علمي والشعر منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية...وقال الأزهري: الشعر القريض المحدود بعلامات لا يحاوزها، والجمع أشعار وقائله شاعر لأنّه يشعر بما لا يشعر غيره أي يعلم... وسمي شاعرا لفطنته»<sup>(2)</sup>.

من خلال هذه المعاني التي وردت في المعاجم العربية، نستنتج أنّ الأصل اللغوي للشعرية "شعر" يدل على معنيين أحدهما مادي، وهذا المعنى لا نقصده بالدراسة، أما المعنى الآخر، فهو معنوي مجرد، يدل في الغالب على العلم والفطنة، أما دلالاته على الثبات فهذا لأنّ الشعر كما ذكر في لسان العرب محدود بعلامات لا يحاوزها، وهذا ما كان ينطبق على الشعر فيما مضى، فيلتزم قائله بقواعد ومعايير معينة لا يمكنه تخطيها.

ويقول رابح بوحوش أنّ الشعرية اسم مشتق من كلمة "شعر" وقد أضيفت "ية" لإضفاء الصفة العلمية، كما لو يقال علم الشعر، وذلك جريانا على نحو الأسلوبية والألسنية والأدبية.<sup>(3)</sup>

ب-الدلالة الاصطلاحية:

تعددت الدلالات التي اتخذها مصطلح الشعرية من قبل النقاد بتعدد الصياغة المتبناة أصلا لهذا المصطلح، على الرغم من الخلاف القائم بين النقاد حوله «حيث إنّ في تراثنا النقدي العربي نواجه مفهوما واحدا بمصطلحات مختلفة، على العكس في التراث النقدي الغربي، حيث إنّ نجد مفاهيم مختلفة بمصطلح واحد»<sup>(4)</sup>، وانطلاقا من ذلك يمكن القول إنّ: «الشعرية ليس تاريخ الشعر ولا تاريخ الشعراء...والشعرية ليست فن الشعر لأنّ فن الشعر يقبل القسمة على أجناس

1-الزمخشري:أساس البلاغة ، مج3،مادة (شعر)، دار صادر، بيروت، ط1، 1992، ص321.

2-ابن منظور : لسان العرب، مج4،مادة (شعر)،دار صادر ، بيروت، ط1، 1990، ص310.

3-ينظر/ رابح بوحوش: «الشعريات وتحليل الخطاب»، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع414، أكتوبر 2015، ص38.

4-ينظر/ حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، ص11.

وأغراض... والشعرية ليست الشعر ولا نظرية الشعر... إنَّ الشعرية في ذاتها هي ما يجعل الشعر شعرا وما يسبغ على حيز الشعر صفة الشعر لعلها جوهره المطلق»<sup>(1)</sup>.

فالشعرية «هي محاولة وضع نظرية عامة ومجردة ومحايثة للأدب باعتباره فنا لفظيا، إنَّها تستنبط القوانين التي يتوجَّه الخطاب الأدبي بموجبها وجهة أدبية، فهي إذن تشخيص قوانين الأدبية في أيّ خطاب لغوي، وبغض النظر عن اختلاف اللغات»<sup>(2)</sup>، فهدف الشعرية هو تزويد النقاد بمعايير وقوانين تضبط الخطاب الأدبي وتجعله متميزا عن بقية أنواع الخطاب، كما أنَّها تستخدم اللُّغة لتفسير ما هو لغوي.

إنَّ موضوع الشعرية كذلك كان محلَّ خلاف بين النقاد، فمنهم من ضيقها في الشعر وحده ويعود ذلك إلى كون الشعر هو الإبداع الأدبي السائد.

من خلال ما سبق نجد أنَّ هناك من النقاد من استبدل مصطلح الشعرية بـ"شاعرية" ومنهم عبد الله الغدامي، حيث يقول: «بدلا من أن نقول "شعرية" مما قد يتوجه بحركة زبنيقة نافذة نحو الشعر ولا نستطيع كبح جماح هذه الحركة بصعوبة مطاردتها في مشارب الذهن، فبدلا من هذه الملابس نأخذ بكلمة "شاعرية"... في النثر وفي الشعر... ويشمل مصطلحي الأدبية والأسلوبية»<sup>(3)</sup> فقد اتخذ الغدامي هذا المصطلح "شاعرية" كبديل عن الشعرية حتى يوسع من دائرة المصطلح.

## 1- الشعرية في الفكر الغربي:

إنَّ المتتبع لهذا المصطلح عند الغرب يلاحظ أنَّه لا خلاف بين النقاد الغربيين حول هذا المصطلح من الناحية الشكلية فقط وُجد اختلاف بسيط بين الفرنسيين (poétique) وعند الإنجليز (poetics)، وكان أرسطو هو أوَّل من استخدم هذا المصطلح ليُعنون به كتابه الشهير (فن الشعر)، وإذا عدنا إلى مصطلح "poetics" فهناك من يرى أنَّه «يتكون من ثلاث وحدات:

1- مرشد الزبيدي: اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط4، 1999، ص104

2- حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، ص9.

3- عبد الله محمد الغدامي: الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998، ص ص21-22.

- poeim: وهي وحدة معجمية تعني في اللاتينية "الشعر".
- ic: وهي وحدة مورفولوجية تدل على النسبة، وتشير إلى الجانب العلمي لهذا الحقل المعرفي.
- s: الدلالة على الجمع<sup>(1)</sup>، فتعود الملامح الأولى لهذا المصطلح إلى الحضارة اليونانية التي ضربت بسهمها في مختلف العلوم التي قام الغرب بتطويرها بعد قرون عدّة، انطلاقاً من ذلك فقد عدّ كتاب أرسطو "فن الشعر" نواة حقيقية للشعريات التي جاءت بعده.

### أ- الشعرية عند رومان جاكبسون:

تختلف شعرية جاكبسون عن سبقه كونه أحد أعلام اللسانيات، ولهذا فـرؤيته للشعرية متأثرة بالمبادئ اللسانية، إذ إنّه ينطلق في تحديد موضوع الشعرية من سؤاله الشهير «إنّ موضوع الشعرية هو قبل كل شيء الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثراً فنياً؟»<sup>(2)</sup>، بمعنى البحث في المميّزات والخصائص التي يختص بها الخطاب الأدبي وتكسبه تلك الجمالية، فشعرية جاكبسون لا تقتصر على الشعر وحده، وإنّما تشمل كافة أنواع الخطابات اللغوية والأدبية.

لقد أضفى جاكبسون على دراسته الشعرية الطابع العلمي، من خلال توظيفه لمبادئ اللسانيات، كما أنّه استعان «بعلم المنطق الحديث، فقسم اللغة إلى فئتين: لغة الأشياء، وهي ما نمارسه عادة في الحديث عن الحياة وعن الأشياء، والفئة الثانية: ما وراء اللغة، وهي لغة اللغة عندما تكون اللغة هي موضوع البحث، وهذه هي الشاعرية (الشعرية)»<sup>(3)</sup>، إنّ الشعرية عند جاكبسون هو العلم الذي يبحث في أدبية التّصوُّص، إذ هي «جوهر الأدب، والجوهر لا نعني به المعنى الفلسفي، وإنّما أجمل ما في الأدب وأصدق ما في عاطفته وأرق ما في جوه وأروع ما في

1- رابح بوحوش: الشعريات والمناهج اللسانية، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع414، ، 2005، ص24.

2- رومان جاكبسون: قضايا الشعرية، تح: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، ط1، 1988، ص24.

3- عبد الله محمد الغدامي: الخطيئة والتكفير، ص ص160-161.

نسجه»<sup>(1)</sup>، فهذه الخاصية التي يتميز بها الأدب تجعله متميزاً عن غيره من النصوص، فالأدبية هي كنه النص وجوهره، وبها يتبوأ مكانته بين النصوص الإبداعية، وقد لخصه جاكبسون في جملة واحدة قائلاً: «إن موضوع الأدب ليس الأدب بل الأدبية»<sup>(2)</sup> فهي العوامل أو المميزات التي يكون بها الأثر الأدبي أدبياً، وخصوصية الأدب تظهر من خلال النص ذاته ولا تتأتى بالبحث عما هو خارج عنه كالظروف المحيطة بالكاتب أو الحالة النفسية له بالذات.

### ب- الشعرية عند جون كوهن:

وصفت شعرية جون كوهن بأنها قريبة من الشعرية العربية خاصة القديمة منها وذلك كونها تقتصر على مجال الشعر فقط، يقول جون كوهن: «الشعرية علم موضوعه الشعر»<sup>(3)</sup> إلا أنه يذكر نظرة غيره للشعرية التي تشمل أنواع أخرى من الفن، فيقول: «ثم أصبحت كلمة الشعر تطلق على كل موضوع يعالج بطريقة فنية راقية... (كتب فاليري) نحن نقول عن مشهد طبيعي إنّه شعري، ونقول ذلك أيضاً عن بعض مواقف الحياة»<sup>(4)</sup>، فالشعرية في المرحلة الكلاسيكية التي مرّ بها الشعر كانت منحصرة فيه، ثم اتسعت فيما بعد لتشمل كل أصناف الإبداع الأدبي من جهة والإبداع الفني ككل من جهة أخرى، حيث إنّ الملمح الأساس الذي تقوم عليه شعرية جون كوهن هو مبدأ الانزياح اللغوي، وهو يقوم عنده على «ثلاثة مستويات كبرى: المستوى التركيبي والصوتي والدلالي مع حرصه الشديد على تضافر المستويين الصوتي والدلالي في الحكم على شعرية النصوص، حيث لم يكن التمييز بين الشعر والنثر إلا من خلال تضافر هذين المستويين»<sup>(5)</sup>.

و«الانزياح يعني وجود تقليد شعري يحدده العرف العام، ويقضي الشعر أن يكون انحرافاً وانزياحاً عن هذا التقليد الشعري، لذلك تبحث الشعرية عند جون كوهن في تمييز الأساليب»<sup>(6)</sup>،

1- فيصل الأحمر: الدليل السيميولوجي، دار المنندي، الجزائر، ط1، دت، ص22.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- جون كوهن: النظرية الشعرية، تر: أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، ط4، 2000، ص29.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- بشير تاويريت: رحيق الشعرية الحدائثية، مطبعة مزوار، دط، دت، ص71.

6- جون كوهن: النظرية الشعرية، ص32

فالشعر يقوم بالدرجة الأولى على مخالفة المؤلف، ومن هنا فالشعرية هي انحراف عن القواعد المعيارية المعمول بها في اللغة، فتكتسب هذه اللغة سمات غير عادية تسهم في تمييز الشعر عن النثر، «فاللغة الشعرية تحطم البنية القائمة على التقابل والتي تعمل داخلها الدلالة اللغوية، إنها تطلق سراج المعنى من الصلات الداخلية التي تربطه بنقيضه، وهي الصلات التي يتشكل منها مستوى اللغة، والتي تجسد مستوى اللاشعرية في الخطاب»<sup>(1)</sup>، فالشعرية من وجهة نظر جون كوهن تقتصر على الشعر بالدرجة الأولى، وتقوم على مبدأ الانزياحات الأسلوبية. ويبدو هنا أنّ شعرية كوهن ذات اتجاه لساني، إذ حرص على أن يكسب شعريته أهمية معينة فاستثمر المبادئ اللسانية، واقترح المبدأ نفسه، الذي أصبحت به اللسانيات علماً، وهو مبدأ المحايثة، أي تفسير اللغة باللغة نفسها، لهذا تبدو الشعرية عنده محددة بالشكل الشعري، بينما في اللسانيات متسعة للأشكال اللغوية كافة.

### ج- الشعرية عند تودوروف:

إنّ شعرية تودوروف تشمل كلا من الشعر والنثر، كون هذين النمطين يجمعهما رابط الأدبية، يقول تودوروف: «ليس العمل الأدبي في حدّ ذاته هو موضوع الشعرية فما تستنتقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي... فإنّ هذا العلم (الشعرية) لا يعني بالأدب الحقيقي، بل بالأدب الممكن... وبعبارة أخرى يعنى بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي، أي الأدبية»<sup>(2)</sup>، فالشعرية في نظره لا تهتم بالأدب بقدر ما تهتم بتلك الخصائص التي تميّزه عن كافة أنواع الإبداع الأخرى، كما أنّ هذه الخصائص هي التي تضبط قيام كل عمل أدبي ثم تكسبه صفة الأدبية.

لقد تراوحت مجالات الشعرية عند تودوروف في تحليل أساليب النصوص، ومن ثمة استخراج المعايير التي تضبط ولادة كل عمل أدبي، حيث يدرج الشعرية ضمن العلوم التي تهتم

2- المرجع نفسه، ص 369

3- تزفيتان تودوروف: الشعرية، تر: شكري المبخوث ورجاء بن سلامة، دار توبقال، ط2، 1990، ص 23.

بالخطابات، أي مجموع ما يكتب عن الفلسفة والسياسة والدين والمنطوق اليومي، إضافة إلى السينما والمسرح، مؤكدا صلة الأدب من حيث هو خطاب متميز عن الخطابات والممارسات الرمزية الأخرى<sup>(1)</sup>.

### -الشعرية عند ميخائيل باختين/ الكلمة كدليل لغوي:

تعتبر الكلمة الحجر الأساس في نظرية ميخائيل باختين، بها يتحقق التعدد اللغوي والصوتي، كالكلمة في الرواية مثلا: هي حالة إيديولوجية لها تحولات في السياق الثقافي، وهي تعيش فيه، لذا هي تعيش جملة من التقاطعات والتضادات، وهي بذلك تعلق نفسها كوحدة إيديولوجية، وتقدم ذاتها كحامل إيديولوجي تتقاطع فيها اللهجات الاجتماعية وتتصارع، وإذا كان هناك تصارع، فبهذا يقتضي تعددية وحوارا. والكلمة كوحدة إيديولوجية تخرج إلى سياقات متعددة تاريخية وثقافية واجتماعية...

ولم ينظر باختين إلى اللغة في شكلها اللساني، وإنما في شكلها الاجتماعي، الأمر الذي يوضحه قوله: «لا نقصد بلغة اجتماعية مجموع العلامات اللسانية التي تحدد إعطاء القيمة اللهجية للغة وتفرديتها، وإنما نقصد الكيان الملموس، والحي لعلامات تفريد اللغة تفريدا اجتماعيا يمكن أن يتحقق أيضا في إطار لغة وحيدة لسانيا، محددنا نفسه بتحويلات وانتقاعات معجمية»<sup>(2)</sup>، ذلك أنّ اللغة الاجتماعية محملة بالقصدية والوعي، صارت اللغة مع باختين المرآة الشفافة التي من خلالها ترى ما يعتمل داخل صدر الرواية من صراعات اجتماعية وإيديولوجية.

بلور ميخائيل باختين اتجاها دسّنه؛ مفاده أنّ هناك فكرا روائيا للغة، يتمظهر في الحوارية والشكل الروائي. ووعي الكاتب بتاريخ اللغة التي تستعملها والمتخيل الذي يحملها إياه، يقول باختين: «إنّ الرواية هي التنوع الاجتماعي للغات، وأحيانا اللغات والأصوات الفردية، تنوعا منظما

1-ينظر/ ترفيتان تودوروف: الشعرية، ص24.

2-ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر: محمد براءة، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص34.

أديبا... الرواية هي مزيج من اللهجات الاجتماعية لمجموعة بشرية معينة، ولغات الأجناس التعبيرية وطرائق الكلام بحسب الأجيال»<sup>(1)</sup>.

يرفض باختين أن تكون اللّغة عبارة عن نسق من الوحدات والمقولات النحوية المجردة، بل يعتبر اللّغة كائنا اجتماعيا، ومشبعا إيديولوجيا، وعلى هذا الأساس يبني مفهومه لحوارية اللّغات/ الخطابات والنصوص على مختلف الأبعاد الاجتماعية والسياسية والتاريخية والفلسفية والنقدية وغيرها.

ويمكن اعتبار التشخيص الفني للغة عنصرا حداثيا في الخطاب الروائي الذي اعتبره باختين المعضلة المركزية لأسلوبية الرواية، ومن ثمّ فهي أيضا معضلة التشخيص الأدبي للغة ويظهر هذا التشخيص الفني للغة لتحقيق الخط الحواري في الرواية حسب باختين في الآليات التالية: التهجين والعلاقات المتبادلة المشحونة بالحوارية بين اللغات، وهذا بدوره ينقسم إلى: ظواهر جزئية و السخرية و التنويع والأسلبة.

تسهم هذه الظواهر الأسلوبية المختلفة في خلق ثنائية صوتية ضمن الملفوظ الواحد والكلمة الواحدة، حيث يستخدم الروائي اللّغة في غير معناها الأصلي، أي المتداول والمتعارف عليه، فنجد أنفسنا أمام إعادة تفسير وجهة المتضمنة في الكلمة نفسها وفهمها، وطريقة اللّغة ذاتها، وعلاقتها بالموضوع والمتكلم، يحدث كلّ هذا تحولات كبيرة وانتقالات في مستوياتها المختلفة، فيتم تقريب البعيد وإبعاد المترابط، وتهديم المتجاوزات المألوفة، وإنشاء أخرى جديدة، من خلال كسر وتجاوز القوالب الجاهزة للغة والفكر بالأسلبة والباروديا والسخرية على حدّ ما ذهب إليه الناقد الروسي ميخائيل باختين<sup>(2)</sup>، ويهدف كل هذا التحوّل في التّعامل مع اللّغة الروائية إلى خلق تنوّع كلامي وأسلوبى داخل الرواية مما سيضفي عليها صفة الحوارية ولو نسبيا.

Mikhaïl Bakhtine :esthétique et théorie du roman , traduit par Daria Olivie, ed Gallimard, -1  
paris, 1987, p 88.

2-أنظر: ميخائيل باختين: أشكال الزمان والمكان في الرواية، فصل من كتاب: علم الجمال ونظرية الرواية، ويوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، دط، 1990، ص119.

## 2- الشعرية في الفكر العربي:

لابد من التعرف إلى مصطلح الشعرية (poetics) في الدراسات الحديثة، بداية بترجمة المصطلح إلى العربية، فقد ترجمه سعيد علوش (poetics) إلى شاعرية، ويعطيها المدلولات التالية: علم مصطلح استعمله تودوروف كشيء مرادف لعلم نظرية الأدب، والشاعرية عنده درس يتكفل باكتشاف الملكة الفردية التي تصنع فردية الحدث، كما تعرف الشاعرية بأنها نظرة عامة للأعمال الأدبية<sup>(1)</sup>، وقد دافعه على هذه الترجمة عبد الله الغدامي، فيراه مصطلحا جامعا ويصف اللغة الأدبية في الشعر وفي النثر، ويقوم في نفس الوقت مقام (poetics). ومن الواضح أنّ لفظة الشاعرية مشتقة من شاعر، وبهذا ينتفى الاستثناء الذي اتخذه الغدامي ذريعة في تفضيل لفظة الشاعرية على لفظة الشعرية ليصبحا على حدّ سواء لصيقتين بالشعر من دون النثر.<sup>(2)</sup>

كما ترجمت (poetics) إلى الإنشائية وإلى البويطيقا وعربت بويتيك، وترجمت أيضا إلى نظرية الشعر وإلى فن الشعر وفن النظم والفن الإبداعي وعلم الأدب.<sup>(3)</sup> والترجمة الأخيرة لـ (poetics) هي الشعرية، وقد تبنى هذه الترجمة كثير من المهتمين بقضاياها ومنهم: محمد الولي ومحمد العمري في ترجمتهما كتاب جون كوهن "بنية اللغة الشعرية" وشكري المبخوت ورجاء بن سلامة في ترجمتهما كتاب تودوروف الشعرية، وعبد السلام المسدي الذي يزواج بين ترجمتين هما الإنشائية والشعرية، وسامي سويدان في ترجمته لكتاب تودوروف "نقد النقد" كما تبنى هذه الترجمة أحمد مطلوب في بحثه "الشعرية".

بعد هذه الترجمات المختلفة فإنني أرى أنه لا مسوّغ لاجتراح ترجمات عديدة لمصطلح غربي واحد، في الوقت الذي يدعو الكثيرون إلى حلّ أزمة المصطلح في نقدنا العربي عن طريق الاتفاق، فكلمة (poetics) تقابلها كلمة الشعرية من دون محاولة خلق جدل يزيد المشكلة تعقيدا،

1- ينظر: سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، ص74.

2- ينظر: عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، ص19.

3- ينظر: حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، ص15.

وتشابكا، حيث إنّ لفظة الشعرية قد أصبحت شائعة في كثير من كتب النقد، وبهذا رسخت قضية توحيد المصطلح.

«ولعل الشعرية تجسّد في النصّ الشعري شبكة من العلاقات النامية بين مكوناتها وصفاتها ووقوعها في الكلام الذي قد لا يكون شعرا، فالقوانين العامة التي تنظم ولادة عمل، وتكون هذه القوانين داخل النصّ ذاته هي التي تتشكّل ما يسمى بالشعرية، وذلك أنّها تتصل بالإبداع حيث تكون اللّغة الجوهر والوسيلة دون أن يعني ذلك مجموعة من القواعد أو المبادئ الجمالية ذات الصلة بالشعر.

إنّ العلم الذي يدرس مستويات التحليل الأدبي هو "الشعرية" فمثلا يهتم علم اللّغة أو اللسانيات بدراسة القوانين المجردة في اللّغة، تحاول الشعرية الإمساك بوحدة الأعمال الأدبية، وتعددها في وقت واحد، فموضوع الشعرية يتكون من الأعمال الممكنة أكثر مما يتكون من النصوص الموجودة بالفعل»<sup>(1)</sup>. نقول ممّا سبق أنّ الشعرية تتصل بالإبداع الأدبي، حيث تكون اللّغة الجوهر و الوسيلة.

«تفكّر الشعرية بأعمال وتشتغل على نصوص، وهي بهذا تعطي سمتين أساسيتين، الأولى أنّها لا تتعلق بقراءة الأعمال الأدبية أو تأويلها، لكنّها تتأمل في الأدوات الإجرائية لتحليل النصوص، فحقل اشتغالها ليس ما يوجد أو وجد سابقا، بل الخطاب الأدبي نفسه، فهي حقل نظري يريد أن يثري البحث التجريبي، أما السمة الثانية فهي تفكر بالنصوص الأدبية دون أن تحدد جنسا أدبيا محددًا. والشعرية بهذا تهتم بالتمييز بين ما هو أدبي وما هو معياري، أي بين لغة يمكن أن تفيض عنها لغات ضمنية أخرى، ولغة تكتفي بحدّها الأدبي، فالشعرية قراءة داخلية وليست خارجية للأعمال الأدبية في تمايزها واندماجها»<sup>(2)</sup>، ومع كلّ نصّ يتكون من طبقات متعددة ومستويات متفاعلة، فإنّ الشعرية تحاول فرز هذه الطبقات، وتحدّد العلاقات بين المستويات المتداخلة في النصّ الواحد من خلال نصوص متعددة.

1-ينظر: سعيد الغانمي: الشعرية والخطاب الشعري في النص العربي الحديث، مجلة تروى، ع3، ص91.

2ينظر: المرجع السابق، ص ص91-92.

---

إنّ مفهوم الشعرية قد أثار إشكالا يعيق بشكل أو بآخر وجود تعريف جامع شامل، فقد قدّم كلّ دارس للشعرية اجتهاده في تحديد المفهوم، فهي الحداثة عند بعضهم والانزياح ومسافة التوتر: الفجوة، أو هي مجموعة المكونات والعلاقات التي تجعل من نص ما نصا شعريا عند بعضهم الآخر.

# الفصل الأول:

المستويات اللغوية وأنماطها في رواية

"أن ترحل".

المبحث الأول: تجليات المستويات اللغوية.

المبحث الثاني: لغة الجماعات الاجتماعية.

## المبحث الأول: تجليات المستويات اللغوية.

إنّ المنتبّع لرواية "أن ترحل" للطاهر بن جلون يدرك مدى براعته في تصوير دقائق الأمور في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية وأعماق النفس البشرية، حيث يأخذنا إلى كلّ الأمكنة وينقلنا من زمن إلى آخر تبعاً للإطار الزمكاني الذي يحكم موضوع الرواية، ليعرفنا بالقصور والصراعات الدائرة فيها، والأحياء الشعبيّة بمفاهيمها وحواراتها وشوارعها، وبالبشر الذين يشهدون على ما يجري من وقائع وأصوات معبّرة عن رفضها لأوضاع الأمة، وينقلنا أكثر إلى ما لا يستطيع أحد البوح به أمام الملأ، وذلك بمستويات لغوية عديدة تتناسب الفئات الاجتماعية وتتوّعها من جهة، وتباين الصراعات المستمرة تجاه الظروف السّارية والمتجسّدة يومياً على مستوى السّلطة أو على مستوى الفئات الشعبيّة من جهة أخرى.

ويجتهد بن جلون في وصف الكارثة، التي صار يعيشها المجتمع المغربي، وهي "الهجرة غير الشرعية" عن طريق اللّغة، لذلك ارتأينا دراسة مستويات اللّغة حسب كثافتها.

وفيما يتعلق بالأنماط اللّغوية التي قام عليها الكلام الجدالي بين عالمين لغويين مختلفين بل متناقضين في نص "أن ترحل"، هما: اللّغة الجاذبة نحو المركز أو الكلمة الأمّرة، ولغة التداول اليومي المنتشرة بين عامة الناس بمبدأ لا مركزية اللّغة، أي "اللّغة النابذة"، لغة الموروث الشعبي ذي الانتشار الواسع، حيث إنّنا سنفصل في هذا السّياق في الفصل الثّاني أين سنتحدث عن تمظهرات شعريّة اللّغة في الرواية.

تعتبر رواية "أن ترحل" للطاهر بن جلون، أنموذجا من الأعمال الأدبية، تتماوج وتتلاقح فيها التشكيلات اللغوية والمستويات الكلامية المختلفة، وهذا إشارة إلى انفتاح الرؤية عند الروائي، وهي بالمقابل دعوة إلى قارئ متعدد المعارف ومنفتح الرؤية؛ حيث أننا في هذا المبحث الموسوم بتجليات المستويات اللغوية، سنخرج إلى نوعين من اللغة؛ وهما؛ لغة المثقف ولغة المهاجر. إلا أن هذين الأخيرين ليسا الوحيان المتواجدان في مدونة الدراسة، إذ تتوافر على أشكال أخرى من اللغة.

### 1- لغة المثقف:

يعتبر المجتمع المغربي ككثير من المجتمعات، التي اهتمت السلطات بها، بعد التحرر من الاستعمار؛ حيث تبنت مشروع التثقيف العام، ولذا نجد أن أبناء الطبقات الدنيا اجتماعيا استفادوا من دعم أهل الكثير منهم، لنيل الشهادات العلمية، والدخول في نادي المثقفين، فعازل اليتيم «كان قد أنهى دراسة الحقوق، حظي بمنحة من الدولة، لأنه نال امتيازاً في شهادة البكالوريا، ولم يكن أهله قادرين على تحمل تكاليف الدراسة»<sup>(1)</sup>.

يفترض أن تسهم هذه الحالة ومثيلاتها في إعطاء فرصة للفقراء للتخلص من أوضاعهم المزرية وإنقاذ بيئاتهم تبعا لذلك، ويستوعب المجتمع مختلف طبقاته، ويجنب أبناءه نتائج القطيعة الحادة والانفصال التام بين الطبقات، وإعادة صياغة التوازن المادي لفئاته، غير أن شيوع الفساد في المجتمع واستفحاله في كل طبقاته، ووقوع الكثير من الناس في الفقر أفقد رؤية الناس للثقافة والمثقف، وعكس معايير التقييم لدى العامة، فأتجهت الأنظار إلى النجوم الذين يبرزون في هوايات مختلفة، لا ترقى إلى مفهوم الثقافة والمثقف، واحتل هؤلاء الإعجاب من العامة، ودخلت شخوصهم في تشكيل أحلام الناس وآمالهم، وانزاحت القيمة الجوهرية للمثقف وللثقافة إلى مراتب دنيا.

1- الطاهر بنجلون : "أن ترحل"، تح: بسام حجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2007، ص19.

تجتمع عوامل كثيرة لتحدث ذلك القلب في سهم القيم، عوامل تتضافر فيما بينها يشكّل في النهاية كلّ منها سببا ونتيجة في الآن نفسه، ففساد السّلطة الذي يدفع إلى توظيف هؤلاء المشاهير والنّجوم والتّشهير لهم، والضحالة الثقافيّة والجمود الفكري لكثير من أولئك النّجوم، الذين يفتخرون إلى رؤية ثقافية ومشاريع حضارية، ممّا يسهل لهم الوقوع في أهداف أصحاب السّلطة والمال، مهما كانت توجهاتهم وأهدافهم، وانحطاط الوعي العام لدي المتلقين الذين يستجيبون للمتعة واللذّة ولا يستوعبون قضايا الثقافة، ويتهربون من جهد الفكر، لذا نجد صاحب مطعم يعلّق صورة مغني على جدار مطعمه، ويتباهى في تعريفه لميكال، «أنّه ممن يملكون قصورا أينما حلوا، يحظى بإعجاب الناس جميعا، ومهما تبدلت الحكومات، يمينية أو يسارية، عسكرية أو مدنية، إسلامية أو علمانية، الجميع يحبونه ويصفّقون له»<sup>(1)</sup>.

بينما يحاصر الفقر أبناء الطبقات الدّنيا، حتى وإن نالوا قدرا من النّقا، ويستغلهم أصحاب النّفوذ ذوي المال، فتصير إمكاناتهم المعرفية في خدمة الفساد عوضا أن تكون في مواجهته، وفي خدمة واقع نظيف، فالمفسدون بجهلهم ومالهم ونفوذهم يوظفون المثقّفين ويستفيدون من كفاءاتهم؛ حيث نجد أنطونيو غراميشي «يعرف هذا النّوع من المثقّفين بالنّسقين: وهم يرتبطون مباشرة بالطبقات أو المشروعات التي تستخدم المثقّفين في تنظيم مصالحها واكتساب المزيد من السّلطة»<sup>(2)</sup>، ومن أمثلة هذا النّوع نجد العافية المفسد المحصّن، الذي «لم ينل من التّعليم سوى فرادة الأرقام، وكل ما عدا ذلك يدعه لعناية معاونين من ذوي الكفاءة في مجالاتهم، مخلصين له»<sup>(3)</sup>، فالملاحظ أنّ المثقّف ينخرط في أعمال فاسدة، لا تتناسب مع ثقافته، فهو ينخرط في أهداف عملية، وباختصار الظفر بمزايا مادية.

1- الرواية، ص 285.

2- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر: محمد عنابي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000، ص ص 33-34.

3- الرواية، ص 17.

وفي الإطار نفسه نجد فلوبيير الكاميروني، المثقف الواعي، يكشف عن معاناة مجتمعه وأسباب تلك المعاناة، لكنّه لا يحاول أن يغيّر الأوضاع ويصارع مجتمعه أو سلطات بلاده بل يتعايش مع هذه السّلبيات وينتظر أن يحدث التّغيير من داخل المجتمعات المريضة ذاتها، «نواجه بعض المشكلات وخاصة على الصّعيد الاقتصادي، ومشكلات حكم وفساد من بين أمور أخرى، لأننا لم نخرج بعد من حزن مدام لافرانس، التي تعاملنا كأولاد معوقين، والحقيقة أنّ أسوء ما في هذا كلّهُ أنّنا ترضخ لذلك»<sup>(1)</sup>. هنا نجد أنّ المثقف على الرغم من وعيه بما يجري حوله، إلّا أنّه لا يحرك ساكنا لتغيير الوضع، بل ينتظر أن يحدث ذلك من طرف المجتمعات المتعفنة التي لا حول لها ولا قوّة.

وفي موضع آخر، نجد كاظم التركي، المثقف الذي انزلق بالرّغم من ثقافته إلى مهاوي الفساد، الذي جعل منه انسانا عاجزا على حلّ مشاكل مجتمعه ومشاكل نفسه، فقد خالط الفاسدين وانخرط معهم، ممّا جرّه إلى المشاكل، «كاد السرّ أن يهلك جسده ويفسد روحه، احتفظ به كعلبة مقلّعة على ذكريات تتحيّن فرصة الخروج إلى العلن، لكي تحيا مجددا، كسور من حياة سابقة سجنّت بضعة شهور، وربّما بضع سنوات، كان قد تمرس بإغفالها وعدم استذكارها»<sup>(2)</sup>. يعيش المثقف المغربي أوضاعا مزريّة، الأمر الذي أوقعه في مأزق عميقة يصعب حلّها.

إلّا أنّنا نجد نوعا آخر للمثقف، وهو المثقف العضوي أو الحقيقي، حيث يعرفه غراميشي قائلا: «المثقف العضوي يحمل هموم كلّ الطبقات وكلّ الجماهير وكلّ الفقراء والمحرومين والكادحين... وعليه فإنّ المثقف الحقيقي هو المثقف العضوي، الذي يعيش هموم عصره ويرتبط بقضايا أمته»<sup>(3)</sup>، ومن أمثلة هذا النوع تجد الشاب المثقف الذي صرح قائلا: «لم تعد لي رغبة في العيش على هذه الأرض، في هذا البلد، كلّ شيء مزيف، وكلّ الناس

1- الرواية، ص 260.

2- نفسه، ص 271.

3- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص 34.

يتدبرون أمورهم كيفما اتفق»<sup>(1)</sup>، والملاحظ هنا أنّ بالرّغم من الجوّ المريض في المغرب، إلّا أنّنا نجد أنّ المثقفين صامدون، حيث أعلنوا رفضهم لهذا الواقع وكشفوا اختلالاته.

يعيش المثقفون في المغرب عموماً، وبالرّغم من الواقع في وئام مع عقائدهم، فقد أشار إلى ذلك عازل مبزراً ارتباطه بأصول هويّته، فأساسياتها تسكن وعيه، ويبرّر دورها عندما تحين الفرصة، فالإيمان يبقى مكوّناً راسخاً بالرّغم من الظروف يعود إليه الإنسان المغربي والمثقف المغربي، عند الحاجة إليه، قال عازل لأمه «خذي هذه الرزمة واتلي فوقها إحدى الصلوات التي لا يعرف سرّها أحد سواك.

-أتريد لي أن أباركها؟

-لا يا أمي، أريد دعائك لي بالتوفيق، على أن تتطقيها بعبارتك أنت، بصلواتك التي تبلغ السّماء مباشرة، من دون دعائك أنا هالك، أنا لا شيء، أنت تعلمين ذلك، يجب أن تكون صلواتك حارة من القلب، إذ قد لا تتجاوز بعض الصلوات حدود السقف»<sup>(2)</sup>. حاول عازل بما يحوزه من ثقافة أن يقاوم النّسق الذي فرضته السّلطة بتواطئها مع الفاسدين، وأن لا يخرط في دوامة الفساد، التي تعصف بالمجتمع، «أنا أرفض أن أكون مثلهم، لقد درست الحقوق في بلد يجهل الحقوق، متظاهراً برفض احترام القوانين»<sup>(3)</sup>، ولاشكّ أنّ طبيعة ثقافته ونوعية تكوينه في العلوم القانونية، التي تهتم بتحديد الحقوق والواجبات والدّفاع عن أصحابها وسعت بينه وبين الواقع المر الذي يعيشه، الذي لا يضمن فيه حق ولا يقام فيه بواجب . ولما أتاحت له الفرصة شارك في مقاومة هذا الفساد وأسهم مع أمثاله في وقفة احتجاجية أمام البرلمان دفاعاً عن حقّ الشّباب المتخرج في التشغيل، لذلك شارك في اعتصام مع حاملي الشّهادات العاطلين عن العمل أمام مبنى البرلمان في الرّباط.

1-الرواية، ص14.

2-نفسه، ص81.

3-نفسه، ص15.

ومنه نستنتج أنّ المثقّف المغربي يعيش في حالة ميؤوس منها، على الرّغم من اعتراضه على الأوضاع المزريّة، مما أدى به إلى ارتكاب مشاكل أوقعتة في دوامة لا مخرج منها.

### ب- لغة المهاجر:

تعتبر الهجرة سلوكا بشريا طبيعيا مثله مثل الاستقرار، يسكن وعي الإنسان منذ الأزل، يلجأ إليه بسبب الأوضاع الاجتماعية المزريّة، فيجد نفسه مندفعاً إلى الهجرة كلما حضرت شروط معيّنّة، وعلى رأسها إشباع الحاجة الدّاتية كالأمن والغذاء والحرية، ولذلك تصبح الهجرة ظاهرة اجتماعية عامة في المجتمعات التي يتعرض أبناؤها إلى احتياج ما، لأنّنا «نحن مدعوون جميعاً إلى الرّحيل عن ديارنا، نحن جميعاً نسمع نداء البحر، نداء الأعماق، أصوات البلاد البعيدة، التي تتردد في أعماقنا، والحاجة إلى مغادرة وطننا الأم، لأنّه غالباً ما يكون مفتقراً للثروة، أو غير محب، أو غير سخيّ، لكي يبقينا بجواره»<sup>(1)</sup>، نلاحظ في هذا الملفوظ أنّ الشّباب المغربي ولأسباب اجتماعية متعددة يفضّل أن يسلك سبيل الهجرة خارج الوطن عن طريق الرّحيل.

ونجد أنّ الشّباب المغربي أثناء هجرته يمتهن عملاً محفوفاً بالمخاطر، ولا يجدي نفعاً، هذا ما فعله صديق عازل، فقد كان يبيع «هواتف نقالة مزودة بشرائح إلكترونية مهربة تتيح لهم أن يخابروا مجاناً، لا بأس بذلك، ألاّ تشاطرنني في الرّأي! يظلّ الهاتف صالحاً لبعض الوقت، وبعد ذلك يعتلم ويعطل... كما أبيع بطاقات للأجهزة اللاقطة للمحطات الفضائية، تتيح لمالكها أن يشاهد جميع محطات التلفزة في العالم... ولن تعود مضطراً إلى دفع بدلات اشتراك أو تأمين»<sup>(2)</sup>، فهذا النشاط المحفوف بالمخاطر والآلام يدفع بالمهاجر إلى الهلاك، إلى جانب هذا النّشاط المتّهم والمشكوك في مدى خضوعه للمعايير القانونية

1- الرواية، ص316.

2- نفسه، ص186.

وما يترتب عنه من مخاطر وما يصحبه من مآزق، فإنّ عباس فقد كذلك كلّ وثائقه الثبوتية التي تمكن أن تعينه على قضاء حوائجه، فيجد نفسه محاصرا بين الوضعية القانونية الصعبة، التي يعيشها وبين النشاط التجاري المشوّه الذي يمارسه، وإمكانية الإرجاع القسري إلى بلده، فقد اشتكى عباس لعازل مرة «بصراحة، يحدث لي أحيانا، أنا الرجل الصلب، أن أبكي وحيدا في غرفتي الضيقة، أجل، بين الفينة والفينة أذرف دموعا حارة على حياتي، على وضعي، أفتقد أمي كثيرا... أنا بطل جميع الأوزان في الإقامة غير الشرعية، أستتر بحلقة اللّيل كي لا يروني، وبرمدة الفجر والضباب لكي أعبّر خلسة، أجتنب الأماكن المقفرة وأبقى طوال الوقت على أهبة العدو»<sup>(1)</sup>، فهذه الظروف والأوضاع تدفع بضحايا الواقع إلى القبول بأيّ شيء ولو كان على حساب أنفسهم وحياتهم.

وقع الشباب المغربي بين واقعين، ليس أحدهما أرحم من الآخر، فالوطن الأصلي فقد فيه الأمل، والموطن الجديد بالكاد يضمن له لقمة العيش، هذا ما أحسّ به الشاب المهاجر عازل الذي تورط في أعمال مشبوهة، فصار مستعدا لأن يكون أيّ شيء إلا مواطنا في وطنه، «سوف أتحوّل، سوف أغدو شخصا آخر، وهذا أمر جيّد في آخر المطاف، أنتقل إلى شخصية أخرى، أضيف إليها شيئا من الخيانة، وشيئا من الوشاية»<sup>(2)</sup>، هذا النمط من المهاجرين يسلكون هذا المسلك، الذي يمثّل الباب، الذي يلجأون فيه إلى عالم آخر مختلف عن عالمهم الأصلي ثقافيا وأخلاقيا وحضاريا.

1- الرواية، ص 189.

2- نفسه، ص 280.

## المبحث الثاني: لغة الجماعات الاجتماعية.

إنّ القدرة الاستيعابية للرواية لا حدود لها، فالنص يفتح نفسه لاستقبال مختلف الأشكال التعبيرية والخطابية وإدماجها في نسج الكتابة الروائية لتلتحم بسياق التلّف، وتوفر سجلات لغوية وفنيّة تمنح النصّ الأوّل ألوان التنوّع وقوّة التعدد.

والملاحظ في رواية "أن ترحل" أنها شبيهة بمهرجان تعبيرى يشرك المنظومة الثقافية العربية كلّها بسجلاتها المتنوّعة، في بناء صرح هذا المعمار المهووس بالتّقيب اللّغوي والحصر في نوايا الكلمات. وكأنّ الجنس الأدبي الواحد، واللّغة الواحدة لا يستطيعان استيعاب ما يزخر به النصّ من أفكار ومعانٍ، فتحتمّ بذلك إسقاطها أقساطا متكاملة. فكثافة تلك الأفكار والمعاني تخلق في الرواية تعددية خطابية، ومن أمثلة ذلك نجد:

## أ- لغة النخبة:

تعيش النخبة في المغرب في عالم يختلف جذريا عن العالم الذي يعيش فيه العامة فالأنس للحفلات المخملية صار ضرورة تستدعي التحضير المتقن لها وفق رؤية عالية السقف في التنظيم والتزيين، ويستخدم مواد وكيفيات تعبّر عن رفاة عالٍ يفصله بون شاسع عن حياة العامة، فميكال رب عمل عازل البطل الذي يتكفل مع آخرين في ترتيب هذه الحفلات، «يجب أن تكون الأمور على أكمل وجه، من دون شائبة. تألق وأناقة. قال ميكال، الزهور، أجل الزهور، يجب أن يكون المنزل كله مزهرا! الملاعق والشوك والسكاكين من الفضة بالطبع والشامبانيا باردة ولكن من دون مبالغة، فقط بالقدر الذي ينبغي أن يكون عليه»<sup>(1)</sup>.

وليس هذا السلوك ظرفيا، فميكال الأصل في حياته وحياة أمثاله ورؤية النخبة العليا في المجتمع تميل إلى هذا النمط من الحياة، فقد دخل عازل صالون ميكال فبقي مدهوشا،

1-الرواية، ص75.

«كان كل شيء مرتبا، لا أثر لغبرة واحدة، تحف وأواني من الفضة متوهجة في خزانة زجاجية وتشكّل في حد ذاتها كنزا من الأشياء النادرة والثرينة»<sup>(1)</sup>.

تقصت كنزة دور شخصية من نخبة الناس أثناء مشاركتها في عمل إعلامي في راديو طنجة، فلم تستطع التعبير عما يجول بخاطرها وبما تعتقده صراحة، لأنه يخالف ما هو سائد عبر الإعلام ولا ينسجم مع ما هو مقبول لدى العامة، فتخلت عن قناعتها وراحت تنتظر لفكرة الزواج بطريقة تختلف جذريا مع ما كانت تؤمن به، وظهر أكثر من مرة من خلال الرواية أنها «أرادت أن تؤيد الفكرة القائلة إنّ المرأة بوسعها أن تكون عزباء وسعيدة، متحررة وعزيزة النفس، محترمة ومحبوبة، وأرادت أن تقول إنّها لا تنتظر عريسا بل الحب»<sup>(2)</sup>.

يوصل ميكال كأنموذج للنخبة التي تستولي على كل شيء، ولا تتنازل لغيرها على شيء، والتي تريد الحفاظ على سطوتها وريادتها وعلى فاعليتها بالرغم من تغير الظروف ولذلك حاول ميكال أن يشتري بماله لقب الجهاد ليجمّل به صورته بعد وفاته، ففي محاولة يائسة تحيل إلى اصطدام النخبة بالشعور الإنساني العام النظيف ومحاولتها استغلال القيم النبيلة، «لقد اشتريت قبوري، إنه في مقبرة المجاهدين على بعد مئة قبر من المدخل، تحت شجرة وارقة مطلة على المدينة»<sup>(3)</sup>.

تخلت الدولة لانشغالها بذاتها وبالذفاع عن محيط بها، عن دورها في تنظيم علاقات العمل بين الناس وحماية حقوق الأفراد أمام جشع النفوس المريضة واستغلال الناس في أوضاعهم الحرجة، فقد كان هذا الجشع صفة تميز بها أحد الأطباء حيث «لا يجري عملية جراحية قبل أن يتقاضى أتعابه سلفا ونقدا، فشهرته كطبيب بارع توازي شهرته كطبيب جشع،

1-الرواية، ص87.

2-نفسه، ص293.

3-نفسه، ص307.

وقد ترددت بشأنه أقاويل مفادها أنّ حبه للمال دفعه إلى خيانة أعزّ أصدقائه، ولم يحل ذلك دون أن ينام قرير العين وبسمة الغبطة مرتسمة على ثغره»<sup>(1)</sup>. يسلك الإنسان المغربي طرق كثيرة وذلك راجع إلى حاجته المادية.

### ب- لغة العامة:

تعاني العامة في المجتمع المغربي أوضاعا مزرية وقاسية، فلا يسمعون من مجتمعهم إلاّ الاتهام والتأنيب، ولا يجدون يدا للمساعدة، ولو على الهروب من هذا الوطن، فقد أباح عازل لأخته عما لاقاه من مجتمعه الظالم، «حُطمت، ولست الوحيد، كثيرون مثلي وقفوا عند أفق مسدود فاسد لا شيء يلوح في المستقبل»<sup>(2)</sup>. لا يقف موقف المجتمع وقواه الحيّة خصوصا مع الشباب الذين لم يجدوا مخرجا لمآسيهم، بل يبادر إلى تقيّمهم والحكم عليهم بالصلاح أو الفساد، إذا ما حاولوا أن يتجاوزوا واقعهم، فكانت كُنْزَة تحسن الرقص وتستغل هذه الموهبة أحيانا لدعم قدراتها المالية، بالتقاضي على السّهرات التي تحييها، «غير أنّ مجتمعنا ينظر بعين الريبة إلى الفتاة التي تمتهن الرقص موردا للرزق»<sup>(3)</sup>.

ويعمن المجتمع في حصار المرأة، فيلاحقها حتى في التجارب المهلكة، التي تخوضها المرأة رغما عنها، فيسارع العامة إلى كيل التهم لها بسبب هجرتها إلى حيث العيش الكريم، فهجرة الرّجل هرب مباح، «أما حين يتعلق الأمر بامرأة، ولاسيما إذا كانت جميلة، فيسود اعتقاد، لا بل قناعة بأنّها ذاهبة إلى هناك حيث تمارس البغاء»<sup>(4)</sup>.

يلاحظ ذلك الانحطاط لكلّ من يخالط النّاس في المجتمع المغربي، غير أنّ الجهر بهذه الأوضاع وكشفها ليس بمقدور كلّ إنسان، صرح عازل ذات مرّة بما هو شائع ومتداول

1- الرواية، ص 31.

2- نفسه، ص 177.

3- نفسه، ص 72.

4- نفسه، ص 37.

من مظاهر الانحطاط، محاولة منه لكشف حال البلاد بعد أن استبد بها الفساد والمفسدين وأمام الملاء في أحد مقاهي طنجة فضح أحد المفسدين الذين يجول بفساده في المجتمع، يفرضون شيئا فشيئا قيما جديدة دخيلة، ويحاصرون أخرى أصيلة ويعيدون صياغة العلاقات داخل المجتمع، فصار هذا الأخير لا يبالي بالشرف والنزاهة والاجتهاد والالتزام والإيجابية بل يتعامل بالنقود والنفوذ والجنس كمعايير جديدة تحكم وحدها العلاقات بين الأفراد في هذا المجتمع، «أنظروا هذا الكرش، إنه كرش الفساد، أنظروا هذا العنق، إنه عنق اللؤم المتأصل في هذا الرجل، طبيعي أن يشتري ذم الناس جميعا، فالبلد حقا سوق مفتوحة أربعاً وعشرين على أربع وعشرين، وكل من فيها معرضون للبيع، لا يحتاج المرء إلا القليل من النقود، والنقود له ثمن مرقوم، ليس باهضا، سوى بضع زجاجات من الويسكي والمسية لفراش مومس، أما الكبائر فقد يكون ثمنها باهضا، وتنتقل الأموال من يد إلى يد»<sup>(1)</sup>. نفهم من هذا أنّ الفساد أصبح ظاهرة يعتز بها الفاسدين المحصنين من طرف الدولة.

### ج- لغة السلطة الرسمية:

تتجلى هذه اللغة في لغة السلطة الرسمية، وهي تطلب تميّزها وتساميها عن أنواع الخطابات السائدة. وتنتظر السلطة وأدواتها إلى المواطن المغربي، الذي يعيش وضعا مأساويا على عدة أصعدة، على أنه مشكل قائم بذاته، فوجوده مشكلة وحركته مشكلة، وسعيه بحثا عن الرزق مشكلة، وكل ما يترتب عن وجوده مشكلة، فانتقال كثير من أبناء الأرياف إلى المدن بدافع السعي للعيش الآدمي وهروبا من ظروف المناطق النائية والبعيدة عن أعين السلطة يشكل مشكلا بالنسبة للسلطة المغربية ويكشف عجزها وتهاونها، لكنّها عبر مؤسّساتها تحاول أن تهاجم الإنسان المغربي لإضفاء قدر من البراءة على نفسها، والمؤسسة التربوية ترسخ هذا الخطاب، فأستاذ التاريخ لقن البطل عازل هذه الدعوى، «إنّ مأساة المغرب تكمن في الهجرة من الأرياف، فأهل الأرياف الذين يفدون إلى المدن ويستقرون فيها

1- الرواية، ص ص 13-14.

يوصلون عيشهم كفلاحين، ويرمون بأقذارهم إلى خارج دورهم، فتستقر بدورها أمام أبوابهم، أي أنهم لا يبذلون شيئا من سلوكهم»<sup>(1)</sup>.

وتتهم السلطة خصومها ومعارضيهما بكلّ نقيصة وتحملهم مآلات الوضع، وتحملهم لجوء الشباب إلى أحضان التنظيمات المشددة، وتتناسى أنّ ذلك نتيجة لغيابها عن واقعهم وجهلها بأحلامهم وأهدافهم واستخفافها لمطالبهم، فيحاول أحد رجال الشرطة أن يوضح حسبه هذه التنظيمات أمام أحد أباء المختفين من الواقع الذي لم يظهر له أثر، ورشح أنّه التحق بإحدى التنظيمات الإسلامية المتشددة، فيقول له: «سبيلنا الوحيد للتعرف إليهم هو اكتشاف التزوير في أوراقهم الثبوتية، غير أنّ مجنديهم لا يستخدمون المطارات بل يستغلون فترات الازدحام في الموانئ البحرية ليلا، وفي بعض الأحوال يرشون الشرطي أو خفير الشرطة ببعض المال فيقضى الأمر»<sup>(2)</sup>.

لا يعني هذا الأمر السلطة من تصدير خطاب استهلاكي، تحاول من خلاله كسب ود الفئة الفاعلة دون أن تقدّم استحقاق هذه العلاقة، فلا هي تعالج قضايا الواقع، فتعفي الناس من آلام الهجرة غير الشرعية، ولا هي تصطدم بهم فتزيد من فاعليتهم بل تنثر حول مطالبهم وتمتص غضبهم، لذا ردت على رسالة موجهة من رابطة شبانية تعنى بأفة الهجرة غير الشرعية، «وكم كانت دهشتهم عظيمة عندما تلقت الرابطة رسالة تعاطف جميلة، غير تقليدية، يعرب فيها المسؤول عن أبلغ مشاعر التضامن الإنساني ويخبرهم بأنّ الملك سيعين لجنة تتوالى الإعداد لقوانين مستقبلية سوف تناقش تحت قبة البرلمان»<sup>(3)</sup>.

يحمل سلوك السلطة تجاه الشباب المغربي عموما والمتهمين منهم خصوصا رسالة خوف منهم جميعا واعتبارهم مجرمين بمجرد الشبهة وتخويفهم باستعمال السلوكات غير

1-الرواية، ص47.

2-نفسه، ص30.

3-نفسه، ص154.

القانونية، وغير العادلة، فلمجرد الشبهة تعتقل كل ما صادفت أجهزتها المكلفة ثم بعد ذلك تفرز الجاني من البريء، فالماشي منهم في الشارع الأصل فيه متهم، فيعتقل حتى تثبت براءته، فيطلق صراحه، خلافا للأصول القانونية التي ترى في المواطن بريئا وبالتالي حرّ وإن اتهم حتى تثبت إدانته بعيدا عن ثقافة المؤسسة الأمنية ومنهجها الذين «يعتقلون بالجملة أولا، وبعد ذلك يجرون الفرز»<sup>(1)</sup>.

تعامل المؤسسة الرسمية السياسية أولئك الذين هجروا ديارهم وأوطانهم بحثا عن عالم أفضل يعيشون فيه كباقي البشر معاملة تشوبها مظاهر الظلم والخداع والمكر والكذب وتمارس كل سلوك يخلصها من وجودهم سواء اتفق مع المبادئ الإنسانية النبيلة وقيمها أم لم يتفق و مع الحقوق المتعارف عليها، أم لم يتفق، فقد بلغ كنزة التي كانت تبحث عن صديقها **ناظم** «أن وزارة الداخلية استدعت عشرات من الماليين والسينيغاليين من المقيمين بصفة غير شرعية، واعدة بمنحهم وثائق إقامة شرعية. فامتثل هؤلاء وحضروا في الموعد المحدد، ولشدة ما أحس رجال الشرطة استقبالهم والتعاطي معهم عقدوا حلقات الرقص أمام المغفر، عقب ذلك قدموا لهم شرابا ساخنا وشطائر بالجبن خالية من لحم الخنزير الأمر الذي رأى فيه المهاجرون نادرة حسنة، بعد وجبة الطعام هذه أدخلوهم إلى ردهة فسيحة الأرجاء وغفلوا عنهم لما يزيد على الساعة من الوقت ريثما تفعل المنومات التي مزجت بالشراب فعلاها، غرق الجميع في سبات عميق، جاء رجال شرطة متدربون جيّدا ووضعوا أصفادا في أيديهم ثم عملوا على نقلهم في حافلات إلى المطار العسكري حيث كانت طائرة بانتظارهم»<sup>(2)</sup>.

توجّه السلطة المغربية مهما كانت وظيفتها أمنية أو تريبوية أو إدارية، وهذا انسجاما مع المؤسسة السياسية المسيطرة، تهما عديدة للمواطن المغربي كإجابة عن الأسئلة الحرجة التي تفرض نفسها عليها، فبالنسبة لها المواطن هو المفسد، وهو المنحرف، أما ذاتها فتعفيها

1- الرواية، ص 60.

2- نفسه، ص 264.

من مسؤولياتها تجاه المواطن، وهذه اللغة صادرة عن السلطة تجرّ وراءها تعاملًا ينسجم مع طبيعتها.

تتميّز لغة الرواية بمستويات خطابية عديدة، وكلّ مستوى هو تمثيل للغة اجتماعية مع ما تحمله من مواقف ورؤى للواقع، تتعايش في الوسط الاجتماعي، وبالتالي فمجتمع الرواية يعكس مجموع صور المتكلمين لهذه الفئات. كلّ طرف من الموقع الذي يتواجد فيه، فينظر إلى اللغة في إطار وظيفتها الحوارية المجسّدة للتواصل اللساني، لأنّ اللغة (أية لغة) لا توجد بمنأى عن الاحتكاك والأخذ من لغة الآخرين، وهي ملتبسة بالإيديولوجيا وبمختلف المعطيات الاجتماعية والثقافية، مما يكسبها خاصية التنوّع، وإن كانت لغة واحدة، فهي لا محالة ذات مستويات متعددة.

# الفصل الثّاني:

تمظهرات شعرية اللّغة في رواية "أن ترحل".

المبحث الأوّل: مركزية اللّغة/ اللّغة الأّمرّة.

المبحث الثّاني: لا مركزية اللّغة/ اللّغة المقنعة داخليا.

تتميز لغة الرّواية بمستويات خطابية عديدة، وكلّ مستوى هو تمثيل للغة اجتماعية مع ما تحمله من مواقف ورؤى للواقع فكريا وسياسيا واجتماعيا، تتعايش في الوسط الاجتماعي، وبالتالي فمجتمع الرّواية يعكس مجموع صور المتكلمين لهذه اللّغات، كل طرف من الموقع الذي يتواجد فيه. فينظر إلى اللّغة في إطار وظيفتها الحوارية المجسدة للتواصل اللّساني، وعمليا فإنّ اللّغة موزّعة في اتجاهين.<sup>(1)</sup>

اتجاه يجذب نحو المركز، فلك لغته الأحادية المطلقة، واتجاه لا مركزية اللّغة، حيث تنفر وتبتعد عن الفلك الأحادي، نابذة المركز، لأنّها تحرّرت وصارت تحيا وسط التنوّع الكلامي المتميّز بالتعددية والنسبية، ذلك أنّ الرّوائي لا يمتلك لغة خاصة به، فلغة الرّوائي لا تعبر عن ذاته فقط، بل تعبر عن كلّ الفئات والأصوات، التي يحويها مجتمع الرواية، كما ذهب إلى ذلك ميخائيل باختين.<sup>(2)</sup>

انطلاقا من هذا التّمييز لمستويات اللّغة الرّوائية، نجد أنّ باختين في دائرة الكلام الرّوائي، ضمن إطار مركزية اللّغة ولا مركزيتها، ميّز كذلك بين الكلام الأمر والكلام المقنع، عبر سيرورة اللّغة اليومية لعملية نقل الكلام الآخر المرتبط بمختلف مجالات الحياة، وبعودتنا إلى لغة المدونة، سنستشعر هذين النّمطين اللّغويين بشكل جلي.

### المبحث الأوّل: مركزية اللّغة / اللّغة الأمر (centralisation de la langue)

تندرج في إطارها كل أنواع الكلام الأمر انطلاقا من الكلام السّلطوي بكلّ وسائله وأشكاله، من دين وتاريخ وموروث شعري مقدّس مهيمن ولغة بلاغية لا يقترب منها، وآخر لا يمكن اللحاق به، و ووصيّ على الأسرة/ المرأة لا يرغب في التعبير بحكم القوة التي أعطاها لنفسية يحرم ويحل ما يشاء.

1-أنظر: وائل بركات وآخرون: اتجاهات نقدية حديثة ومعاصرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق، دط، 2004-

2005، ص224.

2-voir :Mikhaïl Bakhtine, esthétique et théorie du roman, pp 90-91.

تعيش الطبقات الدنيا اجتماعيا في المغرب حياة صعبة، اجتمعت عليها ظروف تاريخية وأخرى موضوعية واقعية وأفقرتها، وسلبتها كل وسائل العيش الكريم الذي يحافظ على آدميتها، إلى جانب ضياع فرصة بناء حاضر مشرق، والتخطيط لمستقبل في مستوى التحديات، فرواية "أن ترحل" للروائي المغربي الطاهر بن جلون تحيلنا إلى واقع مزري، يعيشه الإنسان المغربي كبيرا و صغيرا، رجلا و امرأة، متقفا و أميا، استولت السلّطة وأتباعها والمحيطون بها والداعمون لها على مقدرات الوطن، وانحصر همها في إيجاد التوازن بين تلك الجماعات النافذة (السلطة)، وسخّرت جهودها وإمكاناتها في الإنفاق على القطاعات التي تخدم وجودها كسلطة، وتعاملت مع الإنسان المغربي كمشكلة يُتعامل معها وفق ما تقتضيه علاقة الصراع النّاجم عن الانفصام الشعوري والانفصال الواقعي بينهما، ومن أمثلة المؤسّسة السلطوية في الرّواية نذكر:

#### أ-المؤسّسة السّياسية:

تشكّل السلّطة السّياسية المغربية بما يشتمل عليه المفهوم من مؤسّسات ومناصب ومسؤوليات جزء مهما من البنية النصية/السردية للرّواية، وفي كلّ مرحلة من الأحداث تظهر هذه السلّطة أو إحدى مفرداتها كبؤرة تدفع بأحداث جديدة ومسارات جديدة للحدث الروائي. وتعطي من ثمة وجها جديدا أو مستوى جديدا للظاهرة الجوهرية التي تنبني عليها الرّواية، فالهجرة من حيث هي ظاهرة سياسية في أحد معانيها تتأثر برؤية الملك نفسه إلى شعبه وإلى الوطن الذي يعيش فيه هذا الشعب، ومن ثمة لسلوكه تجاه هذه الظاهرة، وإحساس البطل عازل كغيره من الشّباب الذين تأكد لهم أنّ «الملك لا يبالي، ما يريد الملك هو أن تبقى الأمور على حالها، وهو لا يتدخل في التفاصيل»<sup>(1)</sup>، مؤشر واضح على أنّ أعلى سلطة سياسية تدفع من حيث لا تشعر بهذه الظاهرة لأن تستمر، لأنّه بانتقاء الإحساس عند الملك ينقطع الأمل في صلاح الوضع بما يعفي المتضررين من التّفكير في الهجرة، ويعجّل

1-الرّواية، ص66.

بانتشار اليأس بينهم. والوالي الذي يمثل سلطة الملك في الولاية يعتمد المنطق نفسه والرؤية ذاتها، إلا أن قرب الوالي كسلطة من الناس، وشبه احتكاكه بهم دفعه إلى تغطية تقصيره وتقصير من يقف وراءه من حكام بتصدير صوت عالٍ خالٍ من أي أثر وعلى الميدان يعوّض بها غيابهم عن حياة الناس، وعن حل مشاكلهم ومساعدتهم على التمكن من الفرص التي تسمح بالعيش الكريم الذي يمنع الناس من الانتحار في عمق البحر تحت غطاء محاولة الهجرة إلى أوروبا.

إن المشرحة التي دخلها عازل بحثاً عن جثة ابن عمه وصديقه نور الدين، كانت تعج بالجنث، «في تلك الأثناء دخل الوالي إلى المشرحة عصبياً المزاج متأثراً ببعض الشيء. كان يصيح بأعلى صوته: كفى! كفى! أنتم تعالوا، صوروا هذه الجنث! يجب أن يشاهد المغرب بأسره هذه المأساة! ويجب أن تعرض الصور في نشرة أخبار المساء، ولا بأس إن صدت الصور شهية الناس! كفى! basta! يجب أن تتوقف هذه المأساة، المغرب يفقد نسغه. شبابه! أين مدير الشرطة؟ استدعوه فوراً يجب أن تحاصر الشواطئ»<sup>(1)</sup>. تتعامي هذه السلطة السياسية عن جوهر القضية، وتتجنب ذكر الأسباب الحقيقية للظاهرة، حتى لا تخرج بالذهاب إلى الحلول الحقيقية، في العدالة والكرامة والرفاهية، وتستعيز عن ذلك بخطاب استهلاكي وسلوك أمني قمعي تواجه به الهاربين من وطنهم، تحاصر على إثره كلّ الوطن. فيصير سجناً أسواره شواطئه، وتتواطأ مع سلطات أخرى خارج الحدود وإذا قلت من قبضتها هارب تولّت تلك السلّطات القبض عليه وإرجاعه إلى الوطن، فكثير منهم وقع في قبضة حراس الشواطئ، «غير أن أفراد الحرس المدني الإسباني كانوا في انتظارهم فجراً عند الشواطئ، وكمنوا لهم مموهين كأنهم في زمن الحرب»<sup>(2)</sup>.

1- الرواية، ص 27.

2- نفسه، ص 37.

وهكذا امتدت يد السّلطة ليصل بطشها وقمعها إلى المرأة الضعيفة واقعيا والمحترمة ظاهريا حسب العرف الاجتماعي المغربي، فسهام في أول محاولة هجرة غير شرعية لها إلى إسبانيا اعتقلتها السّلطات الإسبانية «واستجوبت ورحلت مجددا إلى طنجة، حيث تعرضت لضرب مبرح من قبل الشرطة المغربية»<sup>(1)</sup>. هي سلطة تتعامل مع أبناء الوطن الأبرياء بهذا العنف والبطش لمجرد هروبهم من هون هذا الوطن، لاشك أن غيرهم ممن حامت حولهم الشكوك، وتلبست بهم تهمة ما ستكون أدواتها الأمنية أكثر بطشا وأشدّ إيلاما. فغازل الذي وجد نفسه في مركز أمني جراء إحدى حملات الاعتقال الدورية، التي كانت تشنها الأجهزة الأمنية، مرّ بتجربة قاسية فبعد أن تعرض لإهانات بدنية ونفسية أثناء التحقيق «انهال عليه الشرطيان مجددا بالضرب والشتم»<sup>(2)</sup>، ولخوف السلطة المسبق من المواطن شكّها كذلك في مدى خضوعه لها، دأبت على اعتبار الجميع معارضين لها ولدورها، فتضع الجميع في خانة واحدة، فلا مكان عندها لقيمة العدل ومفرداتها من التبيين والتشتت والبحث والتحقيق والاتهام والدفاع، ففي «اندفاعه الحملة الشاملة، أتهم بعض الأبرياء بالمساس بأمن الدولة وصدرت أحكام في حقهم»<sup>(3)</sup>. نظرا لسلطة المؤسسة الأمنية الرّسمية وغياب أية جهة مسؤولة تحد من حركيتها، أو تقييم أداؤها فإنّ منهجها في العمل حولها إلى آلية قاسية همها البحث عن الجناة والخصوم ولو أدى ذلك البحث إلى المس بحقوق الأبرياء وتلطّيح سمعتهم لمجرد التواجد في طريق موظفي هذه المؤسسة فصاروا «يعتقلون بالجملة أولا، وبعد ذلك يجرون الفرز»<sup>(4)</sup>.

تتدخل المؤسسة السياسية اذن في كلّ شيء في المغرب، فحتى الاعتقاد الديني الذي يفترض أنّه قضية شخصية ذات خصوصية ليس للآخر مهما كان موقعه أن يتدخل في

1-الرواية، ص37.

2-نفسه، ص64.

3-نفسه، ص66.

4-نفسه، ص60.

تحديدها أو ضبطها أو التحكم فيها، إلا أنّ المعتنق لدين المجتمع من غير المسلمين يحتاج إلى التصريح أمام مؤسسات السّلطة وإشهاد آخرين وتحرير وثائق تثبيت التحوّل العقيدي لدى الإنسان، لذلك اضطر **ميكال** الإسباني المسيحي عندما أراد اعتناق الدين الجديد أن يباشر إجراءات قانونية فاصطحب **كنزة** إلى المندوبية حيث «كان إثنان من العدول ينتظران وصولها»<sup>(1)</sup>، وذلك «عند الثالثة بعد الظهر، أولاً لإشهار إسلامه وثانياً لعقد القران»<sup>(2)</sup>.

تحاول المؤسسة السياسية الرّسمية أن تخادع العامة وتقلب لهم الحقائق وتصور نفسها على غير حقيقتها، وتشن حملات إعلامية موظفة الصحافة، وبعض الصحفيين لإشاعة كذبهم، **فموحا شيخ** مجنون داخل مقهى وقرأ بصوت عالٍ مضمون جريدة كانت على الطاولة؛ «تقول إنّ الأمور على ما يرام، إنّ الحكومة توفر ما أمكن توفيره من فرص عمل للشباب»<sup>(3)</sup>، ولا تتوقف السّلطة عند تزيين وجهها ومغالطة الجميع، بل تهاجم أولئك الذين فضحوا أمرها بموتهم غرقى في البحر، وتتهمهم بما يدينها، «إنّ من يعبرون المضيق خلسة هم ضارون يائسون»<sup>(4)</sup>، هذا يسهم في تسخير إمكانات الدّولة وطاقاتها من مؤسسات وإطارات في خدمة الزمرة الفاسدة وإنعاش الفساد في المجتمع، ويؤكد على تمكن هذه الرّؤية لدى مؤسسات السلطة تهديد رجل التحري **لعازل** بعدما تدخل لصالح **العافية** المفسد قائلاً: «تبصق على بلدك، وتشتمه، كن على ثقة أنّ الشرطة ستتولي أمرك وسوف تذوّب يدك بالأسيد»<sup>(5)</sup> فمن السّهّل على الشرطي الفاسد أن يلفق التّهم الباطلة للأبرياء، ويبني من ثم من ذلك التهم الباطلة مسارا فضائيا جديدا للمتهم البريء، يؤدي به إلى نهاية مأساوية بربرية، مثلما هو من السهل على المفسد أن تصل إليه المعلومة وتتحرك الأطراف الفاسدة

1- الرواية، ص 147.

2- نفسه، ص 146.

3- نفسه، ص 171.

4- نفسه، الصفحة نفسها.

5- نفسه، ص 19.

في السلطة لإنقاذه من قبضة القانون، «يبدو أنّ وزير الداخلية أمر بتطهير البلد وقد اعتقلوا الكثيرين، ومن ثمة هناك من يقول أنّ العافية أصبح في إسبانيا أو في جبل طارق»<sup>(1)</sup>.

لا شك أنّ من أسباب عجز الدولة أمام الوقوف في وجه طوفان الفساد وعن قطع إمداداته المتشعبة، فساد الكثير من دوائرها، مؤسسات وأفراد، وارتباطها بدوائر الفساد، الحد الذي صار الفساد جزء من بنيتها ووظيفتها، زد على ذلك الإستراتيجية التي تنتهجها المؤسسات التي يفترض فيها مقاومة الفساد ومحاربتة، والمبنية على التفاق السياسي الذي يجعل حركة هذه المؤسسات لإرضاء الملك، لا لاجتثاث المرض، فالغرض من حركتها في الميدان إيصال رسالة كاذبة لا معالجة ظاهرة خطيرة، والتماهي مع رغبة الملك لا حماية مجتمع كامل من أشكال الفساد، أشار إلى ذلك رجل التحري عند تحقيقه مع عازل قائلاً: «لقد ضاق مولانا ذرعا من تشويه سمعة المغرب في الصحافة العالمية، لأنّ خنازير ضخمة تجني الأرباح من بيع المخدرات، لقد انتهى زمن السيبان والفوضى، لذا سنتعاون مع شرطة جلالتة الحبيب حفظه الله وأطال عمره»<sup>(2)</sup>. فالدافع للتحرك رغبة في طاعة مولانا والمحافظة على صورته الإيجابية أمام الرأي العام داخليا و خارجيا، لا الوضع الاجتماعي الخطير، وتشوه سمعة المغرب في الصحافة العالمية، لا صحة أبناء الوطن وسلامتهم والشرطة لجلالة الملك لا للوطن والشعب، ويطيل الله عمر الملك لتطول معه أيام الفساد المنتشرة.

### ب- المؤسسة الاجتماعية:

تمثل السلطة في **الأسرة** كبنية اجتماعية قائمة على قيم صارمة توارثتها الأجيال، وعلى معايير الصواب والخطأ والمقبول والمرفوض تتعارض في كثير من الحالات مع رغبات أفرادها وأحلامها، ويشرك الرّوائي الأسرة وسلطتها في بناء المشهد الرّوائي لنصّ "أن ترحل" بشكل يسمح على الأقلّ بتحديد دورها، فابنة العالم الذي كان يعلم الشاب محمد

1- الرواية، ص 59.

2- نفسه، ص 63.

العربي سربت رسالة إلى محمد العربي بمناسبة زيارته لشيخه في بيته تستنجد به طالبة المساعدة على الخروج من سجن البيت الذي ألزمها أبوها به بالبقاء فيه، بسبب حديثها مع فتى في المدرسة: «أنا معاقبة، حبسني أبي في البيت لأنه ضبطني وأنا أكلم فتى لدى خروجنا من المدرسة»<sup>(1)</sup>، وتتضح أكثر الرؤية السلبية لحرية المرأة عند والد مليكة الفتاة الثانوية، وتأخذ أبعادا خطيرة، فهو « لا يرى فائدة من ارتيادها المدرسة، ففي عرفه أن الفتاة خلقت لكي تلزم بيتها»<sup>(2)</sup>، والأمر كذلك عند كثير من الآباء فليست وحدها أسرة مليكة التي تمارس هذا التعسف، «وهكذا شأن رفيقتها عشوشة، وجارتها حفصة، وابنة عمها فاطمة»<sup>(3)</sup>.

تتوسع الأسرة المغربية في انتهاك حقوق البنت، فإلى جانب حرمانها من الحركة والتعلم فإنها تستغل في أعمال تستهلك قدرتها وحيويتها دون أفق مستقبلي إلا في انتظار عريس قد يبعثه القدر، فحسب الكثير من الآباء «من الأفضل لمليكة أن تعمل خادمة في البيوت إلى أن يدبروا لها عريسا»<sup>(4)</sup>، ولا تجني الفتاة من ذلك الجهد إلا الانتظار، «وكسب المال، أضحي مثيرا للسخرية»<sup>(5)</sup>.

يكبر دور الأسرة ويأخذ أبعادا أخرى عندما تفرض سلطتها لتحديد حجم الحرية الممنوحة لأبنائها، وعلى رأسهم البنت، وعندما يفرض الآباء طبيعة العلاقة الزوجية على بناتهم فهي تعد ظلم على الخصوصية والحق الشخصي اللصيق بالطبيعة الإنسانية للمرأة، كتبت بنت العالم رسالة إلى محمد العربي الذي كان تلميذه شاكية له «عمري سبعة عشر عاما ونصف العام، واني أختنق في هذا البيت، لقد فقد أبي رشده، وكل شقيقاتي عدون

1-الرواية، ص119.

2-نفسه، ص115.

3- نفسه، الصفحة نفسها.

4-نفسه، الصفحة نفسها.

5-نفسه، ص117.

حبيسات أزواج لم يرغبن في الزواج منهم، وأنا أرتاب الآن في أمر مماثل يدبره لي»<sup>(1)</sup>، حيث تحمّل الأسرة المرأة مسؤولية العنوسة التي تعيشها ولا تستطيع أن تفهم مجمل العوامل الثقافية والاجتماعية التي تسهم في استفحال هذه الظاهرة، فالأم تعدد مزايا الأسرة ومزايا البنت وما تظنه كذلك، وتتساءل لعدم زواج ابنتها لتلك المزايا، «يا الله عليك، أخبريني كيف تدبر الفتيات أمورهنّ، كيف يجدن العريس ذا الحسب والنسب، المقتدر مالياً، الوسيم، المحترم؟ أنت فتاة جميلة، وحصلت من العلم ما أتاح لك أن تعلمي في عيادة طبيب، أنت من عائلة كريمة مستورة، لسنا أغنياء ولكننا لسنا فقراء أيضاً. إذا أخبريني ماذا تنتظرين؟»<sup>(2)</sup>

تتميز الأسرة المغربية بنسقتها الخاص وقيمها المتوارثة التي تستند إليها فيها من فضائها الحضاري الواقعي والتاريخي الإنساني والثقافي، فالمواضيع المحرمة لا يمكن الاقتراب من حدودها ولو دعت الضرورة أو فرضت المصلحة ذلك، فللصراحة حدود واضحة وللموضوعية خير معلوم، **فكنزة** أخت **عازل** التقت بأخيها في إسبانيا، وكانت قد سمعت بمغامراته العاطفية ونزواته المدمرة، وبرغم رغبتها في مساعدته «إلا أنّها كانت تخرج في حديثها مع أخيها من التطرف إلى أمور الجنس، فمثل هذا التصرف غير مألوف لدى الأسرة المغربية»<sup>(3)</sup>، فالأسرة المغربية بمحرماتها تحرم أبناءها من فرص التعاون والتكافل و العيش اللائق.

وبالرغم من تسلط الأسرة المغربية المفرط كمؤسسة اجتماعية معنوية وتمنعها سلطة فيها القدرة على تنميط سلوكيات ومواقف الأبناء وفق قيم ليس بالضرورة مقنعة للأجيال الصاعدة على الأقل، إلا أنّ لها أدورا أخرى لا يمكن تجاهلها، تصب في خدمة الجيل الحاضر، تذكر **عازل** دور الأسرة في تنبيهه عن مزلق كان يمكن أن ينزلق إليها، «لكن يدا، هي يد أمي، وهي يد أبي الذي بالكاد عرفه، أهدتني سواء السبيل فلها الشكر، والشكر أيضا

1-الرواية، ص111.

2- نفسه، ص297.

3- نفسه، ص176.

لعدم اضطراري إلى اختيار أيسر السبيل»<sup>(1)</sup>، إلا أنّ المؤسسة الأسرية ليست سلطة قمعية خالية من أية روح إنسانية، ومن أيّ تعاليمها في علاقاتها بأبنائها، ففي عمق تسلطها ودكتاتورية تعاليمها **ينساب** الحب والعطف والرحمة، فبجانب النسق الحاد والقاسي ذي الطبيعة الثقافية تتواجد قيم إنسانية رفيعة الإنسان بحاجة إليها ، فقد هانفت أم عازل «كيف حالك، يا ولدي الحبيب، أرجو أن يكون لديك كل ما تحتاج إليه؟ هل تأكل جيّداً على الأقل؟ اخبرني كيف تمضي أيامك؟»<sup>(2)</sup>، ليست الأسرة مؤسسة اجتماعية ضاغطة وحسب بل يمكن أن تشكل الملاذ الأمني للإنسان في نهايات العمر، عندما يعجز عن التعامل مع الحياة، فهي الضامن للراحة والاستقرار في هذا السن، لم يرزق **ميكال** ولدا فاضطر إلى البحث عن أبناء يتبناهم ويؤسس بهم أسرة يحبّها في آخر العمر، إلى جانبه «أعترف أنني فكرت في اللحظة التي سأحتاج فيها إلى من يقيم معي ويرعاني، وهذا شعور بشري محض، ففي آخر الأمر أنا لا أريد أن أموت وحيدا ككثيرين من العجائز الذين لا يلتفت إليهم أحد»<sup>(3)</sup>.

كما تمثل الجمعية أحد كيانات المجتمع تجمع فيها طاقات وتشكل مؤسسة تقع في المنطقة الوسط بين الرّسمية العامة والفردية الخاصة، فلا هي صاحبة سلطة سياسية ولا هي فكرة مجردة ليس لها وجودا ماديا، بل تأخذ وضعا يسمح لها بالتأثير في الفرد والجماعة بالالتكاء على القيمة الأخلاقية التي تسكن الإنسان من حيث هو إنسان وتوظف تلك الرّغبة في مساعدة الآخرين في المجتمع، وتشكل منها مشروعا له أهدافه ووسائله التي يحققها بها، فالمؤسسة الاجتماعية التي تمارس عادة سلطتها على المجتمع وتفرض على أفرادها قيمها يمكن أن تسهم من ناحية أخرى في حماية الفئات التي يهملها المجتمع ويحيلها إلى النسيان ويبعدها عن مسرح الحياة ويرعى سياسة المسكوت عنها، فانخرط **ميكال** في جمعية استثنائية

1-الرواية، ص85.

2-نفسه، صص124-125.

3-نفسه، ص134.

في المجتمع المغربي «الجمعية ترعى الفتيات الحوامل من دون زواج، كما تعنى بالمواليد اللقطاء». (1)

إنّ المؤسسة الاجتماعية ليست رديفا للسياسة بل العادة تأتي لتقوم بالواجب الذي تخلت عنه هذه الأخيرة، أيّ أنّها سلطة أخرى توازي السلطة الرّسمية وتقدم رأي من همّشهم وتبرز إلى السّطح أولئك الذين تعمل السلطة على إبعادهم وإخفائهم والسكوت عنهم، وتقدم صوتهم وتتقدم بمطالبهم وتدافع عن مصالحهم، فطبيعتها الاجتماعية البعيدة عن الرّسمية تسمح لها بمناقضة هذه الأخيرة سواء ظهر ذلك أم لم يظهر، وعلى هذا الأساس، وبعد أن فقد نور الدين أخوته في حادث غرق مركب محمل بمهاجرين غير شرعيين، « حاول أن ينشئ رابطة لمكافحة عمليات العبور غير الشرعية ونجح في جمع عدد من الأسر التي فقدت أحد أفرادها في عمليات مماثلة، يتلقون دورا في المسجد ويصلون معا، أما من الناحية العملية، فقد بادرت الرابطة إلى الطلب من السلطات التصدي لهذه المشكلة، وتجرت على توجيه رسالة إلى الملك متوسلة أن يضع حدا لهذا النزيف» (2).

قد تكسب المؤسّسات الاجتماعية سلطة جراء استنادها في رؤيتها إلى قيمة ذات أهمية في إطار النّسق الثقافي للمجتمع الذي تنشأ فيه هذه المؤسّسات الاجتماعية، فقيمة احترام الحيوان أخذت بعدا جعلها تتناقض مع قيم أخرى للمجتمع المغربي التي رحلت مع المهاجرين إلى ديار الغربة، فالتضحية بالحيوان يوم العيد واستحباب ذبحه بيد المضحي ذات قيمة إسلامية صار من الصعب تحقيقها، «فالجيران وناشطو جمعيات الرفق بالحيوان اعترضوا على ممارسة هذا التقليد فاضطرت الدولة إلى التدخل للحد منها» (3).

1-الرواية، ص133.

2-نفسه، صص154-155.

3-نفسه، ص106.

وفي مجتمع يخضع لسلطات متنوّعة، لا شك أنّ الطّرف الأكثر حاجة يقع ضحية الحيف والظلم، ويستغلّ ضعفه وحاجته من المستغلين الذين يجدون في حالة العوز والفقير فرصة لجشعهم واستغلالهم، فالمرأة في الطّروف الاجتماعية التي رأينا لكونها إنسانا مغربيا مهمشا ومحروما، ولكونها امرأة في مجتمع ذكوري، «انصاعت لرغبات رب عملها الذي أتاح لها أن تحصل رزقها كفاف يومها، لغدت عشيقته آملة أن يصبح زوجها ذات يوم، ولو وقعت في جميع الأحابيل الممكنة واستعرضت في ذهنها كل الكلام المعاد وحلمت بجميع الأمور المستحيلة»<sup>(1)</sup>، فالتحرش كسلوك غامض ومتخفي وسهل ومؤلم يغدو الحاضر والغائب في النقاش العام، والجريمة التي لا أثر لها عند أهل القانون والعرف، وثبتت هذه المؤسّسات حجيتها ومشروعيتها من فاعليتها الميدانية، أي مما تقدمه من معالجة مختلف مظاهر الاختلاجات الاجتماعية التي لم تلتفت إليها منظومة المركز الثقافي، فهي إمكان جديد متاح في يد الإنسان فرد وجماعة لحل معضلاته، الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية وكأنموذج على ذلك الثراء نظام الجمعية التكافلية، «الجمعية هي نظام قروض، إذ يجتمع عدد معيّن من الأشخاص ويلتزم كلّ منهم إيداع مبلغ معين شهريا في صندوق مشترك، ومن ثمّ يستطيع كل واحد من أعضاء هذه الجمعية أن يحصل على المبلغ الإجمالي الذي يحتويه الصندوق، ومدورة بوصفه قرضا»<sup>(2)</sup>. نجد أن مثل هذه السلوكات يلجأ إليها الإنسان المغربي لتلبية حاجاته المختلفة.

### ج-المؤسّسة الثقافية:

تؤطر العلاقات الاجتماعية في المغرب مجموعة قوانين رسمية وأخرى تقاليد متوارثة وأخرى مفاهيم متواضع عليها، تحاصر في مجملها حرية الفرد في الحركة والتعبير، وتمارس سلطة على الفرد والجماعة تفوق أحيانا السّلطة التي تمارسها المؤسّسة الواقعية الرّسمية،

1- الرواية، ص 161.

2- نفسه، 152.

ويصعب التهرب منها مثلما يمكن ذلك مع المؤسّسة، فبشرى الفتاة الحساء التي تزوجت من رجل أعمال يكبرها سنا لكنه واسع الثراء، مثلما هو متحجر الفكر، سلبى الرؤية تجاه المرأة، فهي «تعيش في دارة واسعة محاطة بالخدم والحشم ولكن يحظر عليها الخروج»<sup>(1)</sup>.

وتتضافر المعتقدات والتقاليد لتضرب حصارا على المرأة، مع العلم أنّنا هنا لا نتطرق إلى المرأة كبيئة سردية بل نتطرق إلى مجمل القوانين والأعراف والتقاليد التي تمارس سلطتها عليها كإنسان له موقعه في المجتمع كالرجل، فبعد استرجاع جثمان نورد الدين ابن عم كنزة أخت البطل عازل وخطيبها بعد حادثة الغرق في البحر لزورق على منته عددًا من المهاجرين غير الشرعيين، لكن كنزة انزوت باحثة حظها محرومة من المشي وراء جنازة خطيبها لأنّه «لم يكن من حق كنزة المجلية بالبياض أن تشهد الدفن، فعلى النساء أن يلزمن الدار، تلك هي التقاليد، كانت تعود ألمها باكية ابن عمها وخطيبها في وقت معا»<sup>(2)</sup>.

ليست الأعراف والتقاليد مسلطة على النساء وحدهنّ، بل الرجال كذلك وقعوا تحت سطوتها، وليست في المجتمع المغربي حصارا، بل المجتمعات المتشابهة في الخلفية الثقافية والمنقطة معه في التاريخ هي الأخرى تعشش فيها التقاليد، فناظم التركي الجنسية الذي يعيش في إسبانيا مهاجرا سريا كذلك أبان حديثه مع كنزة صديقه عن أثر تلك التقاليد على سلوكه قائلا: «إنّي أحبك، الحقيقة أنّ من عادة الرجال في بلادنا أن يجدوا مشقة بالغة في الاعتراف بحبهم لامرأة، فهذه في عرفنا أمور لا تقال صراحة، إذ يكفي الإلماح أو الإشارة»<sup>(3)</sup>، فالنسق الثقافي الذي يتحكم في وعي المجتمع سلطة لا يمكن الإفلات منها فالمجتمع المغربي كغيره من المجتمعات العربية، يخفي عيوبه وينفي وجودها، وينسب ما فيه لغيره الذي قد لا يختلف عنه، ويتحاشى الاعتراف بأخطائه على عكس مجتمعات أخرى، «في عرفنا نحن الزامل هو الآخر، السائح الأوروبي، وليس المغربي، والأمور كلها تجري في

1-الرواية، ص91.

2-نفسه، ص 28.

3- نفسه، ص235.

الخفاء، هذا الاعتقاد خاطئ، فما يجري عندنا هو عينه ما يجري في بلدان أخرى، والفرق الوحيد هو أننا هناك نتحدث عن هذه الأمور، ولا يذهب المغربي إلى التلفزيون لكي يقرّ ويعترف بأنّه يعشق الرجال»<sup>(1)</sup>.

يبلغ مفعول التقاليد والعرف والرأي العام حدودا تجعل الإنسان المغربي يتخلى عن حقوقه ورد مظلمته حفاظا على النسق الذي يفرضها وخوفا من ارتدادها عليه، فعازل الذّي تعرض في أحد المراكز الأمنية لمجرد شبهة إلى عنف قاسٍ، مادي ونفسي وحتى أخلاقي اقترح عليه ميكال صديقه الإسباني أن يتدخل لدى السّلطة بالتعاون مع طبيب يثبت الاعتداد ويوثقه من ثمة يتسنى له استرداد حقه، بما يفرضه هذا الأمر من إجراءات قضائية معلنة على العامة، هو نفسه رفض الأمر وتجنّبته متخليا عن حقه قائلا: «لا؟ لا أطباء أرجوك أشعر بالخزي بالخزي!»<sup>(2)</sup>.

تؤثر الأعراف والتقاليد في مواقف الأفراد والمجتمع وأساليبهم بحسب طبيعة هذه التقاليد والأعراف، فقد تأخذ معنا حضاريا وتوظف توظيفا إيجابيا يصب في صلاح الأفراد والجماعة، فبعيدا عن المغرب في الكامرون، سرد الأمر فلوبيير المهاجر الشرعي إلى إسبانيا على عازل البطل في لقاء به، «في بلادنا، بلاد الباميليكيه، من واجب المرء احترام كلامه، وألاّ يمس شرف العائلة، ولعلّ أشدّ ما قد ينال الباميليكيه من عار هو امتناع الناس عن المشاركة في عزائه، أقصد جنازته، فإذا أخل المرء باحترام كلمته والتزامها يفقد انتماءه إلى العائلة والقبيلة، والعزاء البارد هو عندما يأتي الناس إلى الجنازة لكنهم يمتنعون عن الشراب وعن الأكل، ولا يبقون لفترة طويلة»<sup>(3)</sup>. فلا شك أنّ هذه التقاليد تتحو منحى يختلف عن تلك التي تكبل الإنسان وتحرمه من حقوقه، لكنّها من حيث بنيتها فهي نفسها، فالنمطان من التقاليد يشتركان في قوّة سلطتها على الذات، وفي توجيهها لسلوك الفرد، واتكاء المجتمع

1-الرواية، ص158.

2-نفسه، ص65.

3-نفسه، ص258.

عليها في ضبط سلوك أبنائه وتحقيق هويته ودور سلطة عليا متحكمة، فالموتى عند مجتمع البامبليكيه الكمروني حاضرون بأرواحهم يتعيّن مراعاة رضاهم عن أعمال الأحياء، «لأنّ الموتى في عرفنا ليسوا أمواتا على الإطلاق، وإنّما يبدلون صفتهم بأخرى ويغدون أسلافا يستشارون عند الاقتضاء»<sup>(1)</sup>.

تأخذ الأنساق الثقافيّة بما تحويه من دين وأعراف وتشريعات طابع السلطة انطلاقا من قوة القيم التي تستند إليها كما في الدين، أو انطلاقا من موقعها في حياة الناس وبما تحوز هي من سلطة واقعية، كما في التشريعات، والدين في المجتمع المغربي يشكّل ملاذا للإنسان يتجاوز به صعوبات الواقع وأدوات الصراع فيه، ويحيل إليه تحقيق الغايات الصعبة، وهذا ما يجعل عازل يعود في لحظة إحساسه بنفاذ فاعلية الأسباب إلى الدين المخزون في عمقه ويطلب من أمه «أريد دعائك لي بالتوفيق، على أن تنطقها بعبارتك أنت، بصلواتك التي تبلغ السماء مباشرة، من دون دعائك أنا هالك، أنا لا شيء، أنت تعلمين ذلك»<sup>(2)</sup>. ولا يسمح الدين بحكم سلطته المعنوية والتي يؤسّس بها لسلطته الواقعية للذين من خارج دائرته من معتقيه أن يمارسوا حقوقا إلاّ باعترافهم باعتناقه لهذا الدين والاعتقاد بعقائده، وهذا الاشتراط يسكن وعي معتقيه، فيتعاملوا مع الآخر على هذا الأساس ولا يسمحوا له بمزاولة ما يراه الدين خاصا بمعتقيه، فالزواج من امرأة مسلمة يخضع لترتيبات مهمة تساعل عن طبيعتها ميكال وأجابه عنها عازل ناصحا إياه بالدخول في الإسلام، «تذهب إلى اثنين من العدول وهم رجال دين وقانون، وتنطق أمامهم بالشهادتين،: أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأن محمدا رسول الله»<sup>(3)</sup>.

يفرض الدين قيما ويمارس سلطته على معتقيه ليس من جهة المنع والتحرير والحرمان فحسب، ولكن يمارسها كذلك من جهة الإلزام والفرض أو التحبيب على الأقل، فهو

1-الرواية، ص258.

2-نفسه، ص81.

3-نفسه، ص138.

يفرض على الأجيال جميعها على أن تراعي الأجيال السابقة لها، ولا يسمح للإنسان أن يضيّع في كبره وعجزه فارضا بذلك حماية للإنسان أشاد بها ميكال عندما فكر في اعتناق الإسلام: «في مجتمعكم لا يترك المسنون لمواجهة مصيرهم وحدهم»<sup>(1)</sup>، فالتشريعات والقوانين تتدخل في المغرب كغيره من المجتمعات في العمل التطوعي للفرد، وترسم له خطوط بحجة ضمان حقوق أخرى، لا تهدر بهذا العمل التطوعي الإنساني، فالحرية ليست كافية لاختيار الأب لابنه أو الابن لأبيه، فمن الضروري تفعيل القواعد القانونية إذا تعلق الأمر برغبة أي كان في أن يتبنى إنسانا آخر، برغم تراضي الطرفين، فميكال الذي حرم من الأولاد فكر في تبني لقيط ومن ثم التعاون على أن يجبر كلّ منهما كسر الآخر، يقول: «كنت أعلم أنه من الصعب جدا أن يتبنى المرء طفلا في المغرب، يستطيع أن يساعدهم غير أنه لا يستطيع، على ما أعتقد أن يحملهم اسمه وشرح لي شيخ ذات يوم أنّ الإسلام يحتاط لكلّ شيء، حتى أبعد الأمور احتمالا، مثلا للحيلولة دون إمكان أن يقيم أولادا بالتبني لا يعرفون هوية أبيهم وأمهم من دون علمهم، علاقات جنسية مع والديهم، الأمر الذي يدخل في باب ارتكاب المحارم»<sup>(2)</sup>.

تسيطر قضايا تداولها الثقافة الشعبية على تفكير الناس وتؤثر على رؤيتهم للأشياء وتحدّد سلوكهم في هذه الحياة، أي إنّها تمارس على وعيهم سلطة، ندفعهم بها في اتجاهات لا مبرّر لها غير كونها ترسخت في الوعي العام وصارت من المعلوم بالضرورة في الثقافة الشعبية السائدة، وتزداد سطوة هذه السلطة كلما كانت القضية أقرب من الخرافة وأبعد من العقل، ففي الحمام تشبعت كنزة بهذا النمط من القضايا، فقد «سمعت قصة سعدية

1-الرواية، ص134.

2-نفسه، الصفحة نفسها.

الممسوسة ومنزلها المسكون بالجن، فكلما أوقدت مصباحا أطفأته يد خفية، ومنذ ذلك الحين وسعدية تطوف على أولياء البلاد ولا تتحدث إلاّ بلسان الجن»<sup>(1)</sup>.

تختزن الثقافة الشعبيّة التي تمارس سلطة قوية على المتشبعين بها حلولاً لمشاكل اجتماعية ونفسية تعترض حياة الناس، فهي ثقافة تحتضن ما ينفع وما يضر، ما يحزن ما يسر، ففي الحمام «تعلمت كنزة الوصفة العجيبة التي تعيد للرجل فحولته، فقد سمعت ثلاث نساء على الأقل يتحدثن عن التغير المذهل الذي لاحظنه في أداء أزواجهن بعد تناولهم الجرعة السحرية»<sup>(2)</sup>.

تشكل الخرافة جزءاً من البنية الثقافية للمجتمع المغربي، فتسهم عوامل كثيرة في وجودها، وأخرى كثيرة تعمل على تمكينها من صناعة الرؤية وتحديد المواقف للأفراد، فالطبيعة الإنسانية والعالمية للخرافة التي لازمت العقل البشري والطبيعة الشرقية للمجتمع المغربي، والسياق الحضاري والثقافي الآني له، ووضع المادي والاجتماعي كلها عوامل تدفع بالخرافة إلى أن تسكن النسيج الاجتماعي المغربي بمختلف طبقاته وفئاته وأفراده بنسب متغيرة ومتفاوتة، بقدر العلاقة التي تربط الطبقة أو الفئة أو الفرد بالعوامل المذكورة آنفاً، غير أنّ ما ينعش الفكر الخرافي هو جمود الوعي الفردي وعجز القدرات الثقافية والمادية للأفراد عن التكيف مع صعوبات المعيش اليومي، فتندفع الذات نحو الخرافة كروية ما ورائية غير عقلانية ومطلقة لتفسير الظواهر وإيجاد الحلول. وتسيطر التقاليد على وعي عازل وكذا أخته كنزة كغيره من المغاربة، فتمنعه من البحث عن حلول لمشاكله النفسية التي يتخبط فيها، فقد فكر ميكال في مساعدته في هذا الإطار لكنه تراجع لأنّه يعرف نمط تفكيره، و«لكن كنزة

1-الرواية، ص299.

2-نفسه، الصفحة نفسها.

شأن عازل لم تكن مهياة في وضعها الحالي لأن تستلقي على أريكة المعالج، وأن تتحدث عن نفسها، فهناك عائق الثقافة والتقاليد»<sup>(1)</sup>.

ويفرض العرف سلطته كذلك على الأفراد فيدفعهم إلى البحث عن مخرج مهما كان نوعه في أمر الزواج، فالعرف يجعل من الزواج مؤشرا لكل كمال وسعادة وغيابه مؤشرا لكل نقيصة وشقاوة، مما يحاصر المرأة ويدفعها إلى البحث عن الزوج مهما كان دينه وشكله خوفا من سوء القول عند العامة، «لا فرق إذا كان مسلما أو نصرانيا لكن الأمور هنا شاقة، كلها فإذا لم أتصرف كما يتصرف الناس العاديون سوف أصبح عانسا وسينظر إليّ الناس على أنني هبورة لم تعد صالحة لشيء»<sup>(2)</sup>.

وهكذا يظهر أنّ الكلام الأمر يتكئ على طرف يحصنه ويمنحه الشرعية التي لا تقبل النقاش بشكل مقنع واضح. كما تتمظهر شعرية اللّغة الرّوائية من حيث الكلام الأمر كذلك عبر إطار السلطة المركزية بكلّ تفصلاتها وتبعاتها التي تكّرس القوة والهيمنة على العامة التابعة والخاضعة لقناعتها، فأضفى الكلام الأمر شعرية وخصوصية خالف بها الكلام النقيض أو المعارض أو حتى المطيع أو التابع، الذي سيتناوله المبحث الثاني.

**المبحث الثاني: لا مركزية اللّغة/اللّغة المقنعة داخليا. (décentralisation de la langue)**

إنّ اللّغة ككائن اجتماعيا يحيا ويتفاعل في فلك القوى اللامركزية المبعدة عن مركزة اللّغة، المهمشة من قبل الجهة الرّسمية (السلطة)؛ حيث إنّ لغتها هي نقيض لغة المركز،

1-الرواية، ص288.

2-نفسه، ص78.

وهي في تضاد مستمر معه<sup>(1)</sup>، ومقابل مستوى الكلام الأمر حسب ميخائيل باختين: "تجد كلاما نقيضا، مقنعا يتضمن جدلا داخليا يتطلب النقاش والأخذ والرد في مواقف معيّنة، يحاور الآخر ويقدم رأيه، وذلك ما سماه الناقد الروسي ميخائيل باختينباللّامركزية اللّغوية، (décentralisation de la langue)، أو اللّغة النابذة التي غالبا ما تربط بالمسكوت عنه، ولغة الفئات المهمشة، والمقهورة أي اللّغة التي لا يعترف بها، اللّغة التي ترفضها المؤسسة السلطوية الأمرة.

وقد تجلّى هذا النمط اللّغوي في مدونتنا في لغة التاريخ، لغة الفئات المهمشة ولغة الجنس، وكلّ الشخصيات الحكائية في عوالم المدونة الروائية المعارضة بسلطة ما، مهما كان مصدرها وموقعها.

#### أ- المرأة الأمية والمهمّشة:

فقد انشغلت السّلطة بنفسها، وأهملت المواطن البسيط البعيد عن دوائرها وعن مشروعها، عن التخطيط له، وإيجاد الظروف المناسبة، ليفجر طاقته وليثبت ذاته وليمارس حرّيته، ويجرب إبداعه، وأغلقت في وجوهه المداخل إلى الكسب الشريف. فصار الشباب المغربي بطالا، تتقاذفه الأماكن الملهية كالمقاهي والحانات والطرقات، «فلا يملكون إلا ما يسدون به ثمن قذح شاي، وبيبة الكيف»<sup>(2)</sup>، كما واجه بجيوب خاوية الغلاء المتزايد بسبب الفساد الذي ساد لأسباب سياسية محلية، تجر معها أسبابا أخرى عمّقت يوما بعد يوم الفارق بين المواطن وإمكانية الحصول على الحاجة الضرورية، بل أكثر من ذلك صار «بعضهم له في المقهى حساب لقيد ديونه»<sup>(3)</sup>. لم يستفد الشباب المغربي من عصر الدولة الوطنية المستقلة، كما لم تستفد الأجيال السابقة التي عاشت تحت رحمة المحتل الأجنبي؛ الإسباني والفرنسي، من أيّة

1- ينظر: عبد السلام أقلمون: الرواية والتاريخ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010، ص215.

2- الرواية، ص8.

3- نفسه، ص8.

فرصة ذات مردود فيما يخص التعليم والتدريب واكتساب المعارف اللّازمة، التي تمكّنه من اقتحام ميادين العمل وتحقيق الرفاهية، فالإنسان في المغرب آخر اهتمام السّلطة، فهو لم يحنل المواقع اللّازمة في مشروع المجتمع، الذي تدعيه السّلطة، بل لزم الهامش، ممّا عمّق الهوة بينه وبين مفاتيح النّجاح، ممّا أسهم في عجز الشاب المغربي حتى في حالة هجرته من وطنه وحصوله على أبسط وظيفة عن التمكن من ممارسة ذلك النّشاط والاسترزاق منه، بسبب ضعف مستواه التعليمي والتدريبي، فسهام الشابة التي تمكنت من عبور البحر إلى إسبانيا وحصولها على شبه عمل تعنتي بموجبه بنبت صغيرة معوّقة لإحدى العائلات الخليجية، التي تسكن في إسبانيا، «ولكن الأهم هو شعورها بالعجز التام، إذ اتّضح لها أنّها لا تملك الخبرة الكافية، التي تؤهلّها لرعاية طفل معوّق. تبذل كلّ الجهود الممكنة باستمرار، من دون شكوى، لكنّها لا تلاحظ تقدّماً ملموساً، الأمر الذي يحبطها»<sup>(1)</sup>. فيكفي أن تكون من فقراء المجتمع، ثمّ امرأة، لتجتمع عليها عوامل سلبية تحرمها من فرصة التكوين والتدريب، فالدولة الغارقة في مشاريعها السياسية وفي صراعات أجنحتها، والوضع الاجتماعي الضاغط بتقاليده وأعرافه على المرأة والأسرة الضحية لتلك السياسة، كلّ هذا يجعل من المرأة كيانا بشريا معدوم القدرات والإمكانيات.

تعيش المرأة، مهما كان دورها؛ زوجة أو أمّاً أو بنتا في المجتمع المغربي رؤية تقليدية شرقية تحيبتها بصفات سلبية، إن تحققت في المرأة فهي وليدة الظلم، الذي مسّ كلّ جوانب حياتها، فاتّهام المجتمع للمرأة سببه المجتمع ذاته، ونقائصها من صنعه، فمستواها التعليمي المتدني وما ينجر عنه من حرمانها من فرص التكوين والتدريب، ومن ثمة من فرص العمل والاجتهاد والاكْتساب وما ينجر عن ذلك من بقائها تحت رحمة الطرف الآخر وعلة عليه، كل هذا نتج في مجتمع ذكوري لا يرى في تعليم المرأة إضافة إيجابية لها ولغيرها، بل يراه مضيعة للجهد والوقت وابتعاد عن قيم أصيلة تقليدية متوارثة، فوالد الفتاة

1- الرواية، ص106.

مليكة مثلا، «لا يرى فائدة من ارتيادها المدرسة»<sup>(1)</sup>، بدافع الفقر والحاجة، وبسبب الانقطاع عن الدراسة تضطر الفتاة في المجتمع المغربي إلى الانخراط في دورة الإنتاج التي يديرها المجتمع، لكن بحكم ضعفها البنيوي وتدني مستواها التعليمي وانعدام تأهيلها التكويني تتواجد في أعمال كثيرة وقليلة المردود. والتي تتعكس سلبا على صحتها، دون حماية صحية قانونية لعملها فتعمل في مصنع تعليب السمك بطنجة، نجد «في طنجة تتقاضى الفتيات أجورا زهيدة لقاء عملهنّ، فحتى لو بذلنّ أقصى جهودهن، قليلات منهن يتخطين معدل كيلوغرامات في اليوم، وعلى كلّ حال، لم تتمكن مليكة يوما حتى من بلوغ هذا المعدل، لذلك فهي تعود كل يوم بخمسين درهما كحد أقصى، تعطيهم من فورها إلى أمّها، تشكو باستمرار من البرد، كما أنّ إحساسها بأصابعها أضحى شبه معدوم»<sup>(2)</sup>.

تقابل المرأة المغربية هذا الظلم والجور بصمت يعبر بوضوح عن الرغبة في رفض الواقع بطريقة تتناسب مع ما يؤمن به هذا المجتمع الظالم، فالمجتمع الذي ألف تجاوز المرأة ورفض سماع أبنيتها، إلّا القليل يمكن أن يكون الصمت ملاذالتفجير التواطؤ الاجتماعي العام ضدّها، لذلك «في المغرب لا تصمت المرأة، لأنّ ليس لديها ما تقوله، بل على العكس، لأنّ قلة قليلة من الناس قد تسمع وتفهم ما تقوله»<sup>(3)</sup>، فالضغط الاجتماعي الممارس على المرأة، والحصار عليها يدفعها أحيانا إلى تجنب كلّ ما من شأنه أن يزيجّ بها في مواجهة مع مجتمعها بل تستسلم إلى ما يراه الطرف القويّ صائبا وصالحا لها، حتى وإن لم تقتنع هي به، وتخضع له على الرغم من عدم رغبتها به، خاصة إذا كان لهذا الطرف دور في إعالة المرأة والقيام على شؤونها، فارتدت مليكة الحجاب على الرغم من رفضها، وعدم قناعتها به، بل «إرضاء لصهرها لم ترغب في التسبب بمشاكل من أيّ نوع»<sup>(4)</sup>، تتّجه المرأة للخلاص

1-الرواية، ص115.

2-نفسه، ص116.

3-نفسه، ص300.

4-نفسه، ص118.

من هذا الوضع نحو الحلّ السهل، بالرغم من عدم جدواه، فيفكر جيل الآباء والأمهات في مصير البنات، فأم الفتاة **كنزة لالا زهرة** «تبدو مشغولة البال، لأنّ ابنتها لم يجد لها زوجا بعد»<sup>(1)</sup>، فقبل الوصول إلى حلم الزّواج تلازمها الأزمة، التي يتخبط فيها الرجل، فتشترك معه في الصراع ضد الظروف الاقتصادية والاجتماعية، وتسلك الحلول نفسها التي يسلكها الرجل، لأنّ الظلم المسلط عليها يظهر أنّه استغلال الظالمين لأنوثتها، في حين هو ظلم مسلط عليها لكونها إنسانا ضعيفا ومن طبقة معدومة ومهمشة مثلها مثل الرجل، من ثمة نجدها وكرد فعل للواقع تغامر مغامرة الرجل، **فسهام فتاة** «اعترفت بأنّها حاولت، هي أيضا أن تعبر المسافة تسللا مع آخرين، غير أنّ أفراد الحرس المدني الاسباني كانوا في انتظارهم فجرا عند الشاطئ، وكمنا لهم موهين، كأنّهم في زمن الحرب، اعتقلت سهام واستجوبت ورحلت مجددا إلى طنجة؛ حيث تعرضت إلى ضرب مبرح من قبل الشرطة المغربية»<sup>(2)</sup>.

تحاول المرأة المغربية كفتاة أن تنال حظّها من العلم، بالرغم من الرفض الاجتماعي لهذا الأمر، وتقاوم من أجل ذلك العقاب، ولقد «كافحت كفاحا مرا لإقناع والديها بأنّ يأذنا لها بارتياح ثانوية ابن بطوطة في طنجة، تذهب إليها سيرا على الأقدام، وفي معظم الأحيان تصل إليها متأخرة، طبعا هناك حافلات، ولكنّها لا تملك ثمن التذكرة»<sup>(3)</sup>، حتى وإن أقنعت والديها بحقّها في العلم وتفتكّ منهما هذا الحق، وتصر على حضور دروسها بالرغم من العوائق، إلّا أنّها تجد نفسها أمام معوّقات أخرى تعيقها عن التمكن والبروز في التحصيل الدراسي، «مهما حاولت لا تفلح مليكة في إحراز علامات جيّدة في الصف، إذ أنّها تكاد ألا تجد في البيت ركنا خاليا لمراجعة دروسها وإنجاز واجباتها المدرسية، لذا تخرج أحيانا إلى الشارع وتجلس تحت مصباح عمومي لتحفظ دروسها، يحدث أن يلتقيها والدها فيأمرها بقسوة

1-الرواية، ص72.

2-نفسه، ص37.

3-نفسه، ص114.

أن تعود إلي البيت»<sup>(1)</sup>، أما إذا كبرت المرأة المغربية وتزوجت وأنجبت أبناء وهي معتمدة اعتمادا كليا على الزوج في إعالة أسرتها، فعند غيابه تجد نفسها تتحمل مسؤوليتها ومسؤولية أبنائها دون إمكانات ولا مؤهلات ولا فرص مناسبة، مما يدفع بها إلى العمل في أسمى الظروف لضمان العيش لأبنائها، فهذا هو **عازل** يتذكر معاناة أمه قائلاً: «كم عملت طبّاخة في منازل الأغنياء في المناسبات والأفراح، وتغادر المنزل في ساعة مبكرة ولا تعود إليه إلا في ساعة متأخرة من الليل، وفي جعبتها بعض النقود والطعام فضلات الوليمة، تضعها في أكياس من البلاستيك، قطع لحم ممزوجة بقليل من المرق، وتسارع إلى تسخين الخليط قائلة: هيا كلوا، أمكما هي التي طبخت، كلوا حتى الشبع، بانتظار أيام أفضل»<sup>(2)</sup>.

وتضطر المرأة المغربية في حالات كثيرة وظروف صعبة إلى مزاوله أعمال تتنافى وطبيعتها المسالمة وبنيتها الطرية ونفسياتها المرهفة، كأن تتخرط في شبكات التهريب مثلما كان الحال مع أم **عازل**، التي كانت أحيانا «تستقل الحافلة إلى **سبتة** ليلا وتنتظر ريثما تفتح الحدود عند الخامسة صباحا، فتهرع شأن المئات من النساء الأخريات إلى هنغار سوق الجملة، وهناك تشتري المنتجات التي تلاقي طلبا من قبل زبائنهن»<sup>(3)</sup>، هذا الألم والشقاء والجور تتجاوزته نفس المرأة المغربية، بما تحمله من طاقة الأمل، وتتخطى به ألم اللحظة إلى لذة المستقبل المنتظر، وتتخلص به من طاقة كبرى تسعفها في التغلب على العقبات، وها هي أم **عازل** تفتح باب الأمل وتمني نفسها قائلة لابنها: «عندما تكبر تصبح طبيبا أو مهندسا وسوف تسافر بي أولا إلى مكة، ثم إلى القاهرة، كم أود أن أزور بلد فريد الأطرش وأم كلثوم، سوف تشتري أثواب الحرير والحلي، وسأحيا حياة جديدة، حياة ملكة، ملكة

1-الرواية، ص114.

2-نفسه، ص292.

3-نفسه، ص70.

متواضعة، بلا تاج، لا ملك، أنت أميري، وسوف تبقى أميري، لذا اجتهد في المدرسة واحصل على علامات ممتازة، كن ولدا برا»<sup>(1)</sup>.

إذ إنّ ليس كلّ النّساء يتشبثن بالأمل، فالإيمان به والصبر على صعاب الواقع والتعلق بالأمل، الذي ليس له صلة بالواقع، يحتاج إلى وعيٍ ثريٍّ، وإلى روح عالية وإلى عقيدة صلبة وتربية راسخة، لذلك نجد من النّساء من حرمت من هذه العوامل الإيجابية أو بعضها فتستسلم لهواجس النّفس وتتهار أمام ضغوط الواقع، فتلجأ إلى إلغاء الذات للتخلص من ألم المواجهة مع الواقع، فكنزة أخت عازل والتي تزوجت بميكال الاسباني زواجا شكليا «جاء للسهر على زوجته المريضة، إثر محاولتها الانتحار، كان شحوب كنزة مثيرا للقلق، بعينها الباكيتين ونظراتها الساهية، صدمة عاطفية، خيبة أمل قاسية، فجأة فقدت الرّغبة في الحياة»<sup>(2)</sup>.

هناك أيضا نمط من النّساء، لا يتشبثن بالأمل، ولا يلجأ إلى الانتحار، بل تعيش الواحدة منهنّ بازواجية غريبة، تؤمن بالشئ ونقيضه، وتسلك المسلك ونقيضه، خاصة عندما تتعرض المرأة إلى تعاليم ضاغطة غير مقنعة لها، ولا تجد أمامها إلاّ التنفيذ والالتزام، والتلمص والتمرد لحظة زوال الضاغط، هذا ما لاحظته سهام على بنات عمها المهاجر في بلجيكا، الذي كان يلقن بناته وغيرهنّ المواعظ عندما يجيء لقضاء عطلة الصيف؛ حيث قالت: «كنت في قرارتي أضحك للتناقض بين فحوى مواعظه وسلوك بناته اللّواتي يدخّن في السرّ، ويصادقن ويواعدن في السرّ، وغير ذلك، كنّ لا يطعنه إلاّ لكي يفعلنّ ما يحلوا لهنّ مطمئنات»<sup>(3)</sup>، تسمح هذه الازواجية للمرأة أن تذهب بعيدا بأخطائها، بالاختفاء من عين المجتمع، وإلهائه ببعض المظاهر الدينية، فبشرى الحساء يذكرها الشيخ الحاج صديق عازل قائلا عنها: «بشرى هذه كانت تأتيني منقبة، أي محجبة بالكامل، وكنت ألقبها

1-الرواية، ص292.

2-نفسه، ص284.

3-نفسه، ص92.

بفانتوساس، ولكن حين تخلع جلابيبها وحجابها، تتحوّل إلى امرأة أخرى، فترتدي الغلالات الشفافة والبناطيل المزمّكة»<sup>(1)</sup>.

### ب- لغة المثقف البطل/المهاجر:

وبالإضافة إلى كلّ ما قلناه، نجد الشاب عازل صاحب الشهادة الجامعية في العلوم القانونية اتفق الاسبانيان اللذان عمل عند أحدهما على أنّه شاب لا يصلح إلاّ للعمل اليدوي، كأبناء جلدته المهاجرين، وبالرغم ممّا تحمله هذه النظرة من تلميحة عنصرية وموقف استغلالي إلاّ أنّه لا يغيّب ما يبرّرها في حال المهاجرين، لذا قال أحدهما للآخر: «وأنا واثق أنّك لو جعلته عاملا يدويًا في ورشة لكان أسعد حالًا، فمن شأن هذا أن يشعره بأنّه مهاجر بين آلاف المهاجرين من أبناء بلده»<sup>(2)</sup>، فهذا الضعف التأهيلي والتعليمي سيكون سببا كافيا ومباشرا لشعور الناس بالحاجة، ولشدة ما ألمّ بالشباب من همّ الواقع، ومواجهة هذا الواقع من جديد بعد كلّ غفوة عقل مخدر، والإحساس أنّ الحلّ يكمن في موضع آخر، وقناعتهم أنّ ما المخدرات إلاّ إلهاء وتسلية سرّبتها بينهم السّلطة، وغضت عنها البصر، لحاجة في نفسها. رأوا في الهروب من هذا السجن الكبير الذي تسميه السّلطة الوطن، والتخلص من كلّ ما يشدّهم إليه، مخرجا حتميا ووحيدًا لهم، ممّا هم فيه، فاستولت الفكرة على أذهان الجميع، حتى شعر عازل أنّ القطط للاهية في الشوارع والراكضة بين مواضع القمامات تريد هي بدورها الفرار من هذا الوطن؛ لأنّها أحسّت بظلم كبير ينالها بسبب أنّها خلقت في هذا الوطن الظالم، فراح يكلمها إحساسا منه بوحدة الألم والمصير، ومن ثمّ وحدة المخرج للإنسان والحيوان على السواء، وأيّ جرم عندما يحسّ البشر بهذا التوحد في المشكل وفي الحلّ مع الحيوان، وفي هذا التماهي بين الواقعيين، والتشابه بين المصيرين، فبينما عازل ماشيا «التقى الهَرّ في طريقه، فبادره بالتحية، كما لو كان كائنا بشريا، أنت أيضا تؤدّ أن ترحل، أنت أيضا

1-الرواية، ص91.

2-نفسه، ص167.

أصابتك عدوى الرحيل، والسبب معلوم، تشعر بضيق هنا، تتعرض لسوء المعاملة، وبنالك الركل من كل صوت، تحلم بحياة أفضل، أكثر رفاهية»<sup>(1)</sup>؛ حيث من العجيب أنّ عازل شاهد صدفة في يوم آخر في الميناء هراً يحاول التسلل إلى إحدى سفن الشّحن، وكيف تعاونت الأرجل على رده، «غير أنّ هذا لم يحل دون تكراره محاولة التسلل، ورجال الشرطة والجمارك يعرفون هذا الهزّ حق المعرفة، وكانوا يتتدرون بإصراره العنيد على مغادرة المغرب، فهو أيضا ضاق ذرعا بما آلت إليه الحال»<sup>(2)</sup>.

يعتبر التاريخ ملاذا ومهريا للعاجزين الفاشلين، الذين ليس لهم في الحاضر نصيب، وهو نمط ثقافي ماضوي، يتمسك به من هو خارج زمانه، ولكن المأساة تتفاقم، والمفارقة تزداد حدّة عندما نكتشف فيما يأتي من الرواية أنّ ميكال هذا المنقذ لعز العرب، صاحب الفضل، إسباني شاذ تدرج إلى أسفل دركات الإنسانية، وبعد أن يستفيق عازل من نومه ليلة كاملة وينسى آلام أطرافه يعترف أمام ميكال بعد أن استفسر عن خلفية اسمه، ويسرد له ظروف تسميته بهذا الاسم، «أبي كان ناصريا، قومي الهوى، متحمسا للعروبة، ولكن للأسف العالم العربي اليوم في حالة يرثى لها، مثل حالي، للمناسبة أود أن أشكرك لما فعلته من أجلي مساء أمس»<sup>(3)</sup>، يعيد عازل الأمر إلى وضعه الطبيعي، فهو إحساس عام، وما هو إلّا أنموذجا لهذه الحالة العامة الميؤوس منها، ووجود الإنسان المهمّش والمقصى في وطن لا يعطي فرصة لذلك الإنسان أن يحلم، أن يبني وعيا ممكنا، أن يجسّد صورة أخرى لذاته ولعالمه، ويعطيه الأمل في الوصول إلى الأهداف بعد أن يحسن تخطيطها، وكلّ ذلك بفضل النماذج التي يراها الإنسان أمامه ناجحة، فبعد أن انتقل عازل إلى اسبانيا، وتجوّل في شوارعها، انفتح أمامه الحلم وراح يحدث نفسه، «أتطلع إلى العابرين وأحسدهم، وأتخيّل حياتهم، ضحكهم الذي من القلب، خططهم للمستقبل، تنفسهم الصعداء، وضعهم الحجر،

1-الرواية، ص46.

2-نفسه، ص45.

3-نفسه، ص53.

مشيدين منازل متماسكة تماسك الحجر، أتخيّل رغباتهم التي ينشدون تحقيقها على آخرها، أنا هنا، وأحاول أن أكون مفيدا، أن أكون شخصا آخر، رجلا بحق، لا كذابا، لا سارقا ولا متظاهرا»<sup>(1)</sup>.

اجتهد الرّوائي في أن يعطي صورة عن الواقع المغربي، التي وصل إليها الإنسان المغربي المهمّش والمحروم، وتكون جزئياتها وتفصيلها أسبابا موضوعية للنتائج المأساوية، التي يجد هذا الإنسان نفسه فيها، ودفع بالشخصيات سواء أكانت الرئيسة أم الثانوية إلى تصدير هذه الصورة كل بطريقته، فالمغربي صاحب الحانة في أحد الشوارع في إحدى مدن إسبانيا المسمى كريدو يستذكر ساردا حقائق عن الواقع في بلاده المغرب، تشكّل شكليات الأمور وسطحياتها والعادات السلبية التي تميّز مجتمعا على هامش الحضارة، فيقول: « في المغرب يتعيّن على المرء أن يحيا كما يحيا جميع الناس، أن يذبح خروف العيد الكبير بيديه، وأن يتزوّج بفتاة عذراء، وأن يقضي في المقهى ساعات منصرفا إلى اغتياب الناس، أو في أحسن الأحوال، إلى المقارنة بين أسعار السيارات الألمانية، والحديث عن التلفزيون، والتوقف عن تعاطي الخمر لثلاثة أيام قبل رمضان وبعده، والبصق على الأرضية، ومحاولة تجاوز الآخرين والتدخل في كلّ شيء، وقوله نعم واللا هي المضمرة، وتذييل كلّ عبارة "ما كاين مشكل"، ثم العودة إلى البيت مساء بعد احتساء عدد من قناني البيرة بصحبة الرفاق، والجلوس إلى طاولة الطعام والأكل حتى التخمة»<sup>(2)</sup>، وقبل أن يتحقّق حلم العبور إلى المضيق الآخر (إسبانيا)، يبقى الشباب المغربي أبناء الطبقة المهمشة والبعيدة عن دوائر السلطة منتظرا المجهول، ومنشودا الخيالات التي ليس لها في الواقع مكانا، صار الانتظار ذاته ملاذا للكثير منهم، ففي لقاء لعازل مع صديقه عباس الشاب البطال، مثله أخبره بعجزه عن الحصول على عمل ينقذ به نفسه، و«إنّما ينتظر شأن الآخرين، قال له عباس ذات يوم:

1-الرواية، ص 53.

2-نفسه، ص121.

الانتظار هو مهنتنا الجديدة»<sup>(1)</sup>، ولفرط الانتظار انتابت عقولهم لوّث الخرافة، فألقى البحر الذي يفصلهم عن حلمهم بوساوس زادت من عزلتهم عن الواقع و بعدهم عن الحقيقية وباعدت بينهم وبين ما هو معقول وممكن، فاستسلموا للحل الذي يأتي من وراء هذا الواقع، وينقذهم مما هم فيه، «لفرط ما حدقنا راحت أصوات تتناهي إلى مسامعنا لاعتقادنا أننا إذا أطلنا التحديق بالشواطئ الإسبانية فلا بد أن يشفق ملاك أو جنية بحر لحالنا، فيأتيان ليمسكا بيدنا ويعبران بنا المضيق»<sup>(2)</sup>.

والملاحظ أنّ من نتائج التهميش والإقصاء، الذي يتعرض لهما الإنسان في وطنه، ومن الظلم والجور والحرمان ما يشعل في نفسه بغضا لوطنه كافيا ليستبدله له بأيّ شيء، وحتى بلا شيء، بل يعمل على التخلص بكل ما يربطه بوطنه أو يذكره به، عندما هاجر عازل إلى إسبانيا تذكّر مرّة وطنه وأهله ومسقط رأسه فحدّث نفسه، «لا أرغب في العودة إلى هناك ولو ساعة واحدة، أريد أن أقصيك من أفكاري، أنت وهواؤك وشمسك»<sup>(3)</sup>، والغريب أنّ أبناء الهامش يعتقدون في قرارة أنفسهم أن المركز الآخر الغربي والإسباني ينظر إليهم بعين أخرى غير تلك التي يحاول أبناء الهامش إشاعتها عنه، ويعاملونهم معاملة أخرى، غير تلك التي ألفوها منهم، وعلى الرغم من وصول ابن الهامش إلى الضفة الأخرى ليس مرحّباً به كباقي خلق الله، فالعقبات والتعقيد تحوم أمامه، وتتقل إجراءات استقباله، كما تعقد ترتيبات استقراره، فتهان كرامته، وقد أشار إليها ميكال عندما رافقه عازل إلى إسبانيا، قائلاً: «ستذهب معي منذ صباح الغد، حاملاً جواز سفرك إلى مديرية الشرطة، حيث ستملأ طناً من الاستثمارات، وبعد ذلك نخرج على محامي الخاص ليحرّر لنا عقد العمل النهائي، الذي ستعمل بموجبه لحسابي، أما الآن فسوف تقيم في غرفة الخدم في الطبقة العليا، أعلم أنّ

1-الرواية، ص58.

2-نفسه، ص84.

3-نفسه، ص89.

هذه الأمور مزعجة، ولكن لا بد منها، لكي تحظى بإقامة شرعية»<sup>(1)</sup>، فالآخر يبادل أبناء المغرب مشاعر التعالي والاحتقار، وينظر إليهم بعين الإهمال، فالحاجة في الوطن تجعل أبناءه يحدّقون إلى الآخر باعتباره ملاذا لهم مما هم فيه، في حين يكاد الإسباني لا يحس بوجود هذا المغربي، ولا يعني بالنسبة له شيئا يذكر، فهو سجين مركزته الطاغية، «فالحقيقة أننا من المغرب نرى إسبانيا، ولكن العكس ليس صحيحا، الإسبان لا يروننا، لا يبالون بنا، ولا ما يعنيهم في بلدنا»<sup>(2)</sup>، وتعود هذه الروح الاستعلانية، في هذا الأوروبي ورغبة في التّمرّك حول الذات وتهميش الآخر المغربي، إلى عامل التاريخ بعصوره الطويلة، وما شاب من علاقة بين الطرفين من هدوء واستقرار أو من صراع وتنافر واختلاف، فيستمد الآخر الغربي من التاريخ ما يبرّر به مواقفه الآن، وما يبني رؤيته في هذا العصر، فيشيع بين بعض أبنائه أن الحذر مطلوب من إمكانية إعادة إنتاج الفتح، فالغرب أقوى وأقدر على عكس المغرب، فالتاريخ يمكن أن يتكرّر، ويعيد إنتاج أوضاع متشابهة، لذلك «لم ترق لهم كثيرا حقبة الذهب والفضة أيام العرب في الأندلس، يقولون في سرّهم غير معقول، أقوام المورسك احتلوا جنوب بلادنا، لوس موروس ولوس خوديوس، اليهود، جميعهم إلى خارج الحدود وإلاّ أحرقناهم، لا أقصد أننا اليوم نعود إلى الأندلس، غير أنّهم يمقتون رؤيتنا ونحن نرود النواحي عن حدودهم، الأمر غريزي لديهم، لا يلمح أحدهم مورسكيا إلاّ وراودته الشكوك، إلاّ ورأى فيه نذير شؤم، وعلامة سوداء»<sup>(3)</sup>.

#### د- لغة الجنس:

وفي مجتمع مقموع ومضطهد من كلّ الجهات، لا غرابة في أن يتصف الفرد فيه بالازدواجية والنفاق تجاه نفسه، ومجتمعه، والنتيجة هي الرّفص والاستنكار ولكل ماله علاقة بالجنس وقبوله والتزدد عليه في السرّ والخفاء، في اللّياي، وبين الجدران ووراء الأبواب المغلقة،

1- الرواية، ص 87.

2- نفسه، ص 89.

3- نفسه، ص 183.

وعندما يجيء النَّهار لا تجد إلاّ العفة والطهارة والتقوى، والعجيب في الأمر أنّ أكثر الذين يحرّمونها ولا يخوضون فيها في العلن، هم الذين يمارسونها بمتعته مطلقة في الظلام.<sup>(1)</sup>

من هنا فإنّ رواية "أن ترحل" حاولت أن تخترق الجدار الصلب للجنس/ كمسكوت عنه، بلغة أدبية فيها الكثير من المتعة والفن والواقع.

فمن أخطر الانحرافات التي ظهرت في المجتمع المغربي ذات البعد النفسي والثقافي الخطير مرض التخنث والشذوذ الجنسي، كمحاولة للتماهي من الجنس الآخر، والتتصل من طبيعته الفطرية للذات البشرية، التي تتبني أساسا على فواصل واختلافات جذرية بين الجنسين، الذكر والأنثى، فهذا المرض الذي ظهر مع قدوم أشخاص من الغرب للعيش في المغرب تمثلت فيهم بحقّ النّهاية اللإنسانية، والمأساوية للرؤية الغربية للإنسان، لكنّه مرشّح ككثير من الأمراض الغربية لأن يستفحل بين الشباب المغربي، علما أنّ هذا المرض موجود في الأوساط المغربية مسبقا، لكنّه بحالات نادرة خاصة إذا صادفت وضعا ماديا واجتماعيا مزريا، يهدّد البنية النفسية والثقافية والأخلاقية للإنسان المغربي، ويحيلها إلى مسخ ليس له أصل، ولا مستقبل واضح يتّجه نحوه، لوحظت هذه المخاوف على ميكال عندما زار أسرة عازل، ثمّ غادرها، «خلف وراءه غمامة من عطر بالغ العذوبة»<sup>(2)</sup>، ممّا أدهش الأم التي تتنطق من فطرتها وأصولها في تقييم الأشياء والظواهر، وجعلها تقول: «فمن يكون هذا الرجل الذي يتعطر كامرأة، والذي يتأنّف كامرأة؟ ومع ذلك يبدو وسيما جدا»<sup>(3)</sup>؛ حيث قادت الملامح الظاهرية لميكال الأم إلى ملاحظات فطرية وطبيعية تنم عن استغراب ملامح تحيل بصدق إلى عالم آخر يسكن ذلك الإنسان الغربي وإلى شخصية غريبة، تميل نحو الشذوذ، وتتأكد هذه الاستنتاجات عندما يقرّر ميكال عند تعرّفه على عازل، أنّه «سيجعل من هذا

1-نورة بعيو : آليات الحوارية وتمظهراتها في خماسية "مدن الملح" و"ثلاثية أرض السواد"، لعبد الرحمن منيف، دار الأمل، الجزائر، 2014، ص ص174-175.

2-الرواية، ص73.

3-نفسه، الصفحة نفسها.

الرجل عشيقا له، وإذا عجز عن إغوائه فرجاؤه، إذا استحال الحب أن ينشأ بينهما علاقة صداقة، لمجرد أن لاح في خياله إمكان العلاقة الجنسية مع عازل، أحسّ بانتعاش، يكفي أن يراه أمامه، متكلما أو مومئا أو سائرا، ولو بصحبة خطيبته، لكي يشعر بالغبطة»<sup>(1)</sup>.

إنّ هذه الأحاسيس الغريبة والمشاعر الشاذة، لهذا الغربي ليست وليدة اللحظة، بل لها أصلها في الواقع المعيش الغربي، فالانحراف هناك ليس مرتبطا بالسفلة من الناس دون غيرهم، وليس وليد ضغوط اجتماعية، ولا فساد سياسي، فكل هذه العوامل تغيب عندما يكتشف أنّ الواقع الغربي تنحرفه هذه الانحرافات، في حين هو ينعم في ظروف أفضل، فميكال لا يجد لنفسه مكانا في مجتمعه الغربي «كان عليه أن يرتبط برجل، هو لورد انجليزي، ثريّ ومتنفذ، معقد وصارم، أراد اللورد أن يجعله محظية، لأنّ ميكال كان وسيما جدا، ولدى وصوله إلى بريطانيا أسكنه إحدى ممتلكاته، كان ميكال عشيقه وعبد المتفاني، خادمه وفراشه»<sup>(2)</sup>، وكان الأمر كذلك عند «أحد أفراد العائلة المالكة البريطانية الذي ما كان يخفي عشقه للسهرات الصاخبة والغلمان، كما ترددت أقاويل في تلك الحقبة عن كاتب أمريكي يقيم هناك منذ سنوات عدّة يعيش مع غلام مغربي»<sup>(3)</sup>.

أحاطت مجموعة من العوامل والظروف التي كانت ضدّ الفئة المهمشة في المجتمع المغربي من قلة التكوين والتدريب والتأهيل إلى جانب ضعف القدرة المادية جراء البطالة إلى جانب انعدام الفرص في واقع مريض بمرض سلطته، فصار الوطن مجمعا للعاطلين، الذين يقاومون الظروف الصعبة من عيش وعلاج، مما دفع بالكثير منهم إلى امتهان مهن غير قانونية كالتجارة غير الشرعية والتهرب، ووقع آخرون في مزالق الفساد الأخلاقي، فتشكّلت في البلاد صورة قاتمة عن المغرب، ينتشر فيها الفقر والجوع والمرض وتسربت إلى الوطن أحاسيس ومشاعر سلبية، ككره الوطن وكره بعض أبنائه، والإحساس بالدونية تجاه الآخر

1-الرواية، ص55.

2-نفسه، ص253.

3-نفسه، ص241.

الغربي، الذي ينعم في وطن واسع بفضلته على أبنائه، والوقوف في موقف المنعزل عن حركية المجتمع والتوجّس من كلّ ما فيه، ومال الكثير منهم إلى المخدرات والرّشوة والانتظار السلبي والتهرب من المسؤولية، ممّا جعل الكثير منهم عرضة للاستلاب وللاختراق الأمني ودفع بالكثير إلى الدّوبان عندما سنحت الفرصة بذلك.

ومقابل اللّغة المركزية (اللّغة الأمّرة) واللّغة اللامركزية، نجد لغة ثالثة تابعة/ لغة مطيعة؛ حيث يتموقع هذا الصّنف الكلامي بين الكلام الأمر والكلام النقيض، إلّا أنّ من خصائصه البارزة هي تبعيته المباشرة للكلام الأمر، فيتموقع بسجله الخاص وطريقة توظيفه والاشتغال عليه روائياً، «يهدف في الغالب المتداول إلى الإشادة والرفع من قيمة وإيجابيات الكلام السّلطوي، فدوره إثباتي أكبر من إقناعي متحجج به»<sup>(1)</sup>، إنّّه كلام الاستجابة التلقائي لكلام اللادليل والمطامع الطبيعي لخطاب الاحجة، هذا ما سنفصّل فيه من خلال هذين العنصرين.

#### أ- لغة الصحافة:

تعبّر السلطة عن حالة متقدمة من الانغلاق والفساد والدكتاتورية، وصارت جزء من هويّتها، هذا ما جعل بعض المؤسسات تقع بين الحاكم والمواطن، على قلتها وضعفها تحت طائفة الظلم والديكتاتورية ذاتها، فعوض أن تمثّل الوسيط الذي ينظم مرور التيار من وإلى السّطة، صارت ضحية لتحوّل السّطة، ففقدت دورها الطّائعي، وبالتالي مبرّر وجودها، فنجد الصحافة التي «إذا تجرأت يوماً على قول الحقيقة فسوف تمنع من الصدور»<sup>(2)</sup>. فإلى جانب المؤسسات الإدارية الحكومية، التي وضعت أساساً لخدمة المواطن ولإيصال صوته إلى السّطة، وتنزيل حقوقه عبرها إليه، وترجمة العدالة إلى قرارات وخطوات عملية، ينفّذها جيوش من الإداريين الذين رهن وجودهم خدمة الصالح العام والسّهر على قيام الدولة لصالح

1- عبد السلام أقلمون: الرواية والتاريخ، ص 219.

2- الرواية، ص 66.

أبناء الوطن، فهذه المؤسسات وهؤلاء الموظفون صاروا عبئاً على الدولة، وعلى المجتمع وعلى السّلطة، فهم ولأسباب مختلفة ولدوافع متعددة، يزورون الواقع ويغيرون الحقائق، يخفون ما وجب إبرازه ويبرزون ما لا يستحق البروز، ويطيعون المؤسسات والقرارات خدمة لمصالح فئوية أو فردية بعيدة عن الصالح العام، يعينون الفاسد على فساد، ويفسدون من خلف من أصلح أو حاول ذلك، فمن خلق هذا الفساد لا يمكن للملك وإن افترض حسن نيته أن يصل إلى الحقيقة أو تصل إليه، وأن يحقّ حقا ويبطل باطلا، و«لعلّ ازدحام الحاشية من حوله يحجب عنه المشهد بأكمله، يحجب عنه الرّؤية، لذلك يرددون على مسامعه يوماً أنّ الأمور على ما يرام، يا صاحب الجلالة، لا داعي للقلق، هل ترغب جلالته في زيارة النّواحي التي تشهد تسلّل المهاجرين غير الشّرعيين في بني مكادة أو الإدريسية أو حيّ صدام، سمعا وطاعة، يا صاحب الجلالة، نحن منهمكون في تدارس الأمر وتدبيره من الناحية الأمنية، ويطيلون انتظاره لبضعة أيام ريثما يعاودون طليّ الجدران، ومحاصرة الأحياء المعنية»<sup>(1)</sup>، الملاحظ أنّ السّلطة بقمتها وقاعدتها اتّجهت في مقاربتها لمطالب الطبقات الدّنيا والفئات المختلفة للسيطرة والتحكم في الحراك الاجتماعي والسياسي والفردى والجماعي، ولضبط صيرورة التطورات البنيوية للمجتمع وتوجيه مآلاتها بما لا يخرج عن الهدف الثابت، وهو استقرار الحكم وإن تآكل المجتمع وضاع مصيره.

تتّضح سمات الكلام المطيع في هذا الكلام، عبر الأسلوب **الإغرائى** الجذّاب، لينال مشروع أصحاب النّفوذ، وتحقيق طموحهم الطّامع وإن كان لذلك على حساب هوية الأمة وحرّيتها.

## ب- لغة رجال التحري (رجال الأمن):

1- الرواية، ص 154.

نجد أنموذجا عن هذا التّمط في نص "أن ترحل" فيما قاله السّارد عن أحد الشّخص، الذي ليس ثوب رجل تحرّي، فعندما هاجم عازل العافية الفاسد في إحدى حانات طنجة وشهّر بفساده صادف أن «أحد رجال التحريّ كان جالسا في الحانة في حال من السّكر الشديد، اقترب من العافية وهمس في أذنه قائلا: دعه لي، سوف ألاحقه بدعوى المس بأمن الدولة»<sup>(1)</sup>، "هذا التّمط من الإطارات المنحرفة والفاصلة التي أوكل لها أمر تسيير دواليب الدولة، تنشر عدواها في كلّ القطاعات، وتجذب أشباهها إلى مواقع التأثير، فتتولى حماية الفساد والدّفاع عن الفاسدين في تلك المواقع، ثمّ تنجّر إلى الشّارع، وفي أوساط المجتمع لتمارس مهامها المعتادة، وتدافع عنه وتحميه، هكذا يصير الدّفاع عن الفساد وحماية المفسدين جزء من مهام مؤسسات الدولة، والشغل الشاغل لإطاراتها من حالة تماهي عجيبة وخطيرة بين الدولة والفاسدين والصالح العام والفساد والقانون والإجرام، تحكم رؤيتهم لمهامهم ووظائفهم التي أوكلت لهم، هنا نلاحظ الخضوع الكلي والمطلق للفساد العافية من طرف رجل التحريّ التابع للمؤسسة الحاكمة".<sup>(2)</sup>

تجمع رواية "أن ترحل" تلك الظروف المأساوية التي ليس لها مخرج، حسب شخصياتها إلاّ الهجرة، فالظلم الذي يلاقه الإنسان في وطنه لمجرد التّهمة يجعله يقطع الخيط الذي بينه وبين حبّ الوطن، خاصة عندما يجد نفسه عرضة لقمع مؤسسات أمنية همّها إرضاء قمة السّلطة بالحق والباطل، وهمّها إثبات الولاء لها وإفنائها بالاجتهاد في أداء الواجب، ولو كان ذلك على حساب حرية البريء، فتلفيق التهم للأبرياء لإرضاء السّلطة، وللحفاظ على المكاسب والمناصب صار أمرا هيّنا ومباحا، ولم يبق أمر محاربة الآفات جوهريا ومبرّرا لوجود هذه المؤسسات ونشاطها، بل الظهور بمظهر الوفيّ والمخلص للسّلطة، وتقديم كباش الفداء هو المبتغى الأوّل والأخير. هذا ما حدث لعازل مع الشرطيين اللذين

1-الرواية، ص15.

2-أنظر: أبو يونس خليل عرار: جمالية المسكوت عنه في رواية "أن ترحل" للطاهر بن جلون، رسالة ماجستير، معهد اللغة العربية، جامعة تيزي وزو، 2013-2014.

«كانا حانقين لتثبتهما من أنّ عازل ليس مهربا ويستعين عليهما أن يعتقلا واحدا من المهربين على الأقل قبل بزوغ الفجر»<sup>(1)</sup>، يدفع هذا الظلم والقهر بالشباب المغربي إلى الهجرة، بالرغم من معرفتهم أنّ مصيرهم الهلاك الحتمي.

نجد نوعا آخر للكلام المطيع، وهو تبعية بعض المهاجرين لاستراتيجيات أمنية تجعل منهم بعض هذه الأجهزة أدواتا لتحقيق اختراقات في أوساط المهاجرين، وتجنّد منهم من يعينها على تحقيق أهدافها، وتعمل عمل الجوسسة لصالحها، ويقدر ما يشكّل هذا من خطورة على الأوساط المهاجرة، يشكّل خطورة أكبر على مستقبل أوطانهم الأصلية، حيث لاحظ عازل هذه الظاهرة عندما حدث أن كان في موقف تصادف مع وجود شجار بين بعض المهاجرين، واستدعى الأمر تدخل أجهزة الأمن الإسبانية، وتعاملت مع الجميع وفق ما تراه طريقة صالحة للتعامل مع المهاجرين، واستثنت من يمكن أن يكون عينا لها، «لاحظ أنّ الشرطة أطلقت سراح مغربيين من دون تحقيق في أوراقهما، كانا مخبرين والأرجح أنّهما اللذان بلغا الشرطة بما يجري»<sup>(2)</sup>. يتّضح من خلال هذا أنّ المهاجر المغربي تحوّل إلى جاسوس لصالح مصالح الأمن الإسبانية، وذلك لحاجته المادية، التي يعاني منها، هذا ما فعله عازل فاقترح على أجهزة الأمن «أن أزودكم بمعلومات حول بعض البؤر الإسلامية المشددة»<sup>(3)</sup>، وهنا يقع في فخّ هذه الأجهزة، فتعمّق من خطواته الخاطئة وتشدّه إلى المستقع، مستغلة في ذلك حالته وظروفه الصعبة، التي يعاني منها، «ولكي يوفروا له العطاء المطلوب، تدبروا له وظيفة بدوام جزئي في القسم القانوني لأحد البنوك الكبرى»<sup>(4)</sup>، فبدافع الحالة المزرية نحا عازل منحى خطيرا أدى به إلى الهاوية.

1-الرواية، ص64.

2-نفسه، ص277.

3-نفسه، ص279.

4-نفسه، ص295.

وهكذا نستنتج ممّا سبق، أنّ "الكلام المطيع" في النصّ الروائي، يوظّف لتفريغ حملاته التعبيرية والإشارية، بهدف تحريك شعرية اللغة الرواية وتنشيطها، والتي أسهمت في بناء معمارية الرواية، كما يقوم "الكلام المطيع" بتزيين "الكلام الأمر" وإخراجه إخراجاً جذاباً لجلب أكبر عدد ممكن من المتلقين كالشعب والأمة بعامة.

وفي الختام نقول إنّ اللغة الروائية في "أن ترحل" تتميز بتمظهرات شعرية عديدة، وكلّ تمظهر هو تمثيل للغة اجتماعية، وبالتالي فاللغة تتصّف بالازدواجية، حيث الكلام يصبح خارج ضفتي التكافؤ والتوازن، ليعترف بالتراتب وكلام يرتفع ويتعالى، ويرسل ويأمر وكلام يتدنّى ويتنازل ويكون دائماً في موقع المستقبل، وينعت الكلام بالشرعية المطلقة، فهو كلام أمر، والثاني يتّصف بأنه كلام نقيض ومقنع داخليا، وما بينهما يمكن أن يسمى بالكلام المطيع أو التابع.

خاتمة

تعدّ اللّغة الشعريّة ملمحا بارزا من ملامح الرواية المعاصرة، تمنح للأدب خصوصية مميّزة تفصلها عن أنماط التعبير الفنيّة اللّغوية الأخرى، وتتبع هذه الخصوصية من الأدب ذاته ومائلة في أبنيتها اللّغوية، التي تشترك فيها الرواية مع الشّعر، فلم تعد مهمة الشّعريّة محصورة في النّصوص الشعريّة فحسب، بل النّصوص الأدبيّة جميعها، لذلك أمكن الحديث عن شعريّة الرواية الحديثيّة، ولم يعد يقف عند نمط الرّؤية وموقع الرّائي، بل تجاوزه إلى شعريّة اللّغة.

وكخاتمة لهذا البحث نعرض مجموعة من النتائج المتوصل إليها بشكل مختصر:

-رَكَزَ الطاهر بنجلون كثيرا على البطل، الذي يعيش من خلال الرواية أزمة متعددة الأبعاد مع مؤسسات المجتمع المختلفة، السياسية والاجتماعية والثقافية، فتضاءل منسوب الثقة إلى حدّ جعل من المؤسسة الرّسمية السياسيّة خصما للمواطن. لقد دفعت هذه العلاقة السلبية الكثير من أبناء الوطن إلى الهجرة من الوطن ولو بطرق غير شرعية، ممّا زاد من تأزم العلاقة بينهما، وأسهم في الوقت نفسه في إشاعة الفساد في المجتمع وفي دواليب الدولة وانخراط الكثير من الناس في شبكاته.

-لم تكن القدرات الثقافية المتواضعة لأبناء المغرب من الفئات المهمشة أن تسعفهم ليحدثوا تغييرا جوهريا في حياتهم ولا حياة غيرهم، على الأقلّ انطلاقا ممّا أبانت عنه الرواية، بل الأدهى من هذا انحدار القيم المعنوية للمثقف أو ما اعتبر كذلك في المجتمع المغربي بسبب سطوع نجم وظائف اجتماعية أخرى تنافسه التأثير وجلب الاهتمام والصدارة في المجتمع كالفنانين ورجال الأعمال، وهذا الجوّ لم يمنع بطل الرواية عازل المعتبر مثقفا في مجتمعه من رفض الواقع ومحاولة ردّ الأمور إلى نصابها ولو على مستواه الشّخصي.

-تعيش النخبة وضعا اجتماعيا مميّزا، شكّل أحد مرتكزات لغتها ورؤيتها للحياة، فالاهتمام بالجماليات والكماليات وأساليب الذوق الرفيع يزيد من عزلتها عن العامة، ويقوي إحساس العامة السلبي تجاهها، خاصة مواقف كثيرة من أفراد النخبة من الوضع الاجتماعي من أبناء العامة والإمعان في استغلال ظروفهم في أسوأ الظروف.

-أما العامة من الناس فقد أجمعت على لغة تتوحد مفرداتها حول قضية مركزية تهمّ جلّ أفرادها، وهي حالة الظلم بكلّ أشكاله المسلّط عليهم والحرمان والعنف، فالمجتمع أجمع بغير تواطؤ على تجريم جميع أبنائه الذين بحثوا عن حلول لمشاكلهم من خارج الإطار المتفق عليه، فالهجرة غير الشرعية والرقص في المراقص بقيت تهما يكبلها المجتمع لكل من حاول أو حاولت أن تجرّب حظها في هذا الميدان بغية تجاوز الوضع المادي المسدود أمامهم.

-انحرفت العامة في تصورهما للحياة السوية وأنتجت خطابا يهتم بالتفاصيل ويتداولها، وينتقد من يحاول أن يجرد نفسه من ظلم الظروف ولو لوسائل أكثر ما يقال عنها أنّ المجتمع المغربي لم يألفها، كالرقص في الأعراس بمقابل، وهجرة المرأة إلى إسبانيا، ولكن هذا الخطاب لا يبالي ولا يهتم بسلبيات كارثية انتشرت في أوساط العامة مرشحة لتدمير المجتمع، فالفساد والرشوة والالتواءات وغياب الالتزام والاجتهاد والنزاهة كلّها قضايا تخلو لغة العامة من مفرداتها.

-أحالنا الطاهر بنجلون إلى البطل عازل، وذلك في كثير من المقاطع السردية إلى هاجس الخوف الذي كان ينتابه، فكانت لغته محمّلة بمفردات توحى إلى حالة من الخوف من المستقبل والخوف من العودة إلى الماضي، وكان هذا خاصة بعد هجرة البطل إلى إسبانيا.

-تقف المؤسسات الاجتماعية من أسرة ومؤسسات أرباب العمل في وجه الحقوق الأساسية للأفراد، وخاصة النساء بفعل حالة الضعف التي تعيشها على المستوى المادي والاجتماعي وتستغل حاجة هؤلاء إلى الأسرة، بالنسبة للمرأة، وإلى مؤسسات أرباب العمل، بالنسبة إلى الرجل والمرأة على السواء في محاصرة مشاريعهم بغية استغلال طاقاتهم في خدمة هذه المؤسسات.

-يتحكم في وعي الإنسان المغربي شبكة من الأعراف الاجتماعية والتشريعات القانونية والاعتقادات الدينية، تتضافر كلّها في إعطاء مواقفه وسلوكه نمطا محددًا وبكوابح تكبح حركته وحرّيته الضرورية هذا الحصار يكون على مستوى الكلام وعلى مستوى السلوك أيضا، وكلّ هذه الإكراهات تمارس بمبرر الانسجام مع القيم والأعراف.

-يبرز الإقصاء كسلوك سلبي يسلكه الإنسان تجاه المغاربة خصوصا والعرب عموما، أحس به ولاحظه بعيونهم المهاجرون المغاربة الذين دفعت بهم الظروف إلى خارج الوطن، ويتغذى هذا السلوك من خلفية تاريخية ثقافية وسياسية تتبع من الرؤية المركزية للغرب المسيحي تجاه المختلفين عنه.

-يحاول عباس أحد أبطال الرواية الذي تعرض لهذا السلوك الإقصائي أن يموقع ذاته والكيان الحضاري الذي ينتهي إليه العرب المسلمين في صف الأبرياء من هذا الخلق مستندا في ذلك إلى عمق تاريخي يعود إلى الحضارة الأندلسية وإلى مرحلة الاستقلال الوطني وكيف تعامل المغاربة مع الإنسان بروح إنسانية راقية.

-تعرض الطاهر بنجلون كذلك للمرأة، كونها عنصرا مهما في المجتمع المغربي، إضافة إلى اعتبارها أنثى في مجتمع ذكوري، لكن المرأة في هذا المجتمع وانطلاقا من حيثيات الرواية أبدت مقاومة لسلطة الرجل ولسلطة الأسرة إلى جانب السلط الاجتماعية الأخرى والسياسية، لكنّها مقاومة منسجمة مع قدراتها الثقافية، التي كادت أن تنعدم، حيث لم تظهر في الرواية امرأة مثقفة إلا أخت عازل التي لم تتل من التعلم، إلا ما يسمح لها العمل كممرضة عند طبيب اختصاصي، ومن هذا المنطلق كانت مقاومتها للواقع الضاغط عليها بظلمه الاجتماعي، ودكتاتورية المؤسسة السياسية وبالرؤية الثقافية إلى الجنس الأنثوي مقاومة فردية محدودة، بغرض التخلص من مسار الواقع ولم تتمكن من تشكيل تيار مقاوم واع وهادف، وهذا لا يمنع انسحاب كثير من النساء عن الحياة العامة الإيجابية وانخراطهنّ في شبكات تمارس حياة خاصة تتناقض مع العرف العام والثقافة المحلية الذاتية للمجتمع المغربي.

-تناول الروائي لغة الفئات المهمشة في المجتمع المغربي التي اجتمعت حولها قلة التكوين والتدريب والتأهيل، إلى جانب ضعف القدرة المادية جراء البطالة إلى جانب انعدام الفرص في واقع مريض بمرض سلطته ونخبته، وصار مجمعا للمواطنين الذين يقاومون الظروف الصعبة من عيش وعلاج، مما دفع بالكثير منهم إلى الامتهان في مهن غير قانونية كالتجارة

غير الشرعية والتهريب، ووقع آخرون في مزالق الفساد الأخلاقي، فتشكلت في البلاد صورة قاتمة عن المغرب، ينتشر فيها الفقر والجوع والمرض وتسربت إلى أبناء الوطن أحاسيس ومشاعر سلبية كره الوطن وكره بعض أبنائه، والإحساس بالدونية تجاه الآخر الغربي الذي ينعم في وطن واسع، والوقوف موقف الانعزال عن حركية المجتمع، ومال الكثير منهم إلى المخدرات والرشوة والانتظار السلبي والتهرب من المسؤولية، مما جعل الكثير منهم عرضة للاستلاب والاختراق الأمني ودفع بالكثير إلى الذوبان عندما سنحت الفرصة بذلك.

-حاولت طاقات كثيرة المقاومة ولكن لأسباب موضوعية لم تعرف طريقها، فتشتت القوى المعارضة حول تفاصيل وجزئيات ولم تتوحد حول مشروع عام واضح يناوش السلطة ويحقق أهداف الطبقات الكادحة ويجعل من المغرب مجتمع الجميع.

-ختاما نقول إنَّ شعرية اللّغة في رواية "أن ترحل" للظاهر بن جلون، تأسست على المستويات اللّغوية وأنماطها، حيث انقسمت إلى:

-تجليات المستويات اللّغوية، ولغة الجماعات الاجتماعية، كما تمحورت مظاهرها بين الكلام الأمر والكلام المقنع داخليا، وما بينهما الكلام المطيع، الذي يأتي ليخدم الأمر في أحيان كثيرة، وكل هذا يدلّ على تنوّع القاموس اللّغوي للمجتمعات المغاربية وتباين أفرادها موقفا ورؤية.

مصدق

## 1-بيوغرافيا الكاتب "الطاهر بنجلون":

ولد الطاهر بن جلون في أول ديسمبر من عام 1944 بفاس، كاتب فرنسي من أصول مغربية، ينتمي إلى الجيل الثاني من الكتاب المغاربة الذين يكتبون باللغة الفرنسية، وله إصدارات كثيرة في الشعر والرواية والقصة. وتتميز أعماله بالطابع الفولكلوري والعجائبي، تحصل على جائزة كونكور الفرنسية عن رواية "ليلة القدر" انتقل إلى طنجة مع أسرته سنة 1955، حيث التحق بمدرسة فرنسية، وكان قد اعتقل عام 1966 مع 94 طالب آخر، لتنظيمهم ومشاركتهم في مظاهرات 1965 الطلابية، فتخلى عن الحراك السياسي ولجأ للكتابة.

درس الفلسفة في الرباط إلى غاية 1971، حين إعلان الحكومة المغربية عن عزمها تعريب تعليم الفلسفة، مما جعله يغادر إلى فرنسا، حيث حصل على شهادة عليا في علم النفس وبدأت مسيرته في الكتابة بعد فترة قصيرة من وصوله إلى باريس، أين عمل كاتبا مستقلا لصحيفة لوموند، وبدأ ينشر الشعر والرواية. تعرض لعدة انتقادات حيث اتهم بتبعيته الثقافية للغرب، ومن مؤلفاته نجد: حرودة، موحى الأحمق، موحى العاقل، صلاة الغائب، طفل الرمال، ليلية القدر التي حصل من خلالها على جائزة الكونكور، كما أصدر مجموعة من النصوص القصصية والدواوين الشعرية منها: ذاكرة المستقبل، ديوان في غياب الذاكرة، والمجموعة القصصية الحب الأول هو دائما الأخير<sup>(1)</sup>.

ومن أعماله الأخيرة رواية ليلة الخطأ ومأوى الفقراء وتلك العتمة الباهرة.

ومن أهم أعماله نذكر: طفل الرمال 1953 و ليلية القدر 1987 و ليلية الغلطة 1996 وتلك العتمة الباهرة 2001، وهذه الرواية التي بين أيدينا أن ترحل.

ويعتبر بن جلون من أبرز الكتاب الذين ينتظره القراء الفرنكفونيين بشغف، حيث ترجمت إلى عدد كبير من اللغات وحازت على اهتمام واسع من القراء.<sup>(2)</sup>

1- من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، 22 مارس 2015، الساعة 07:53.

2- الرواية، نسخة الغلاف، الخلفية.

## 2-عالم رواية "أن ترحل":

تجسد رواية "أن ترحل" للروائي المغربي الطاهر بن جلون واقعا مغربيا، فيه كثير من التفاصيل مع بعض الإشارات إلى وقائع أخرى كالواقع الإسباني والواقع الخليجي، ولكن جاءت هذه الوقائع الثانوية في معرض دعم التناول السردى للواقع المغربي، وبغية الإسهام في تناول تفاصيل الوقع المغربي التي قد تمتد إلى خارج المغرب،<sup>(1)</sup> وأسهمت في الملحمة الروائية شخوص عديدة اختلفت درجة حضورها في المسار القصدي واختلفت درجة فاعليتها في تفعيل هذا المسار فالبطل المركزي للرواية الشاب المثقف البطل عازل اليتيم إلى جانب وبشكل أقل حضور صديقه ورب عمله الإسباني ميكال وأخته كمنزة وصديقه سهام وكثير من الأسماء التي أسهت بنسب متفاوتة كل في مرحلة من مراحل سيرورة الحدث الروائي، و قد دارت أحداث الرواية حول الهجرة غير الشرعية، هذه الظاهرة السلبية التي انتشرت في وسط الشباب المغاربي عامة والمغربي خاصة حيث حاول الروائي عن طريق هذه الشخوص أن يبرز حقيقتها ويشرح أسبابها وينبئ إلى عواقبها داخل متن روايته ، فحاول نقل الصراع بين البطل والشخوص الأخرى ومؤسسات الوقع السياسي والاجتماعي، كصراعه مع أجهزة الدولة من جهة ومعارضته للتيارات السياسية التي تنتج خطابا يعارض في الآن ذاته الهجرة غير الشرعية، وكشف عالم الرواية كذلك عن الوقع الاجتماعي المزري بما فيه من مفاصد وانحرافات وبما فيه من مظالم وآلام، فقد حاول الروائي أن يقارب بين الوقع والنص الروائي بشكل فني وجمالي ممتع، وبتوظيف بنية واقعية معروفة وتأنيث المشهد الروائي بها، كالملك والجنرال والفقير في بنية الشخوص، والدار البيضاء وطنجة في البنية المكانية، وتناول الروائي إلى جانب قضية الهجرة غير الشرعية قضية المرأة المغربية المعاصرة من كل الجهات في الوقع المغربي، وكذا النتائج السلبية لانغلاق السلطة حول ذاتها وانعزالها والتغاضي عن مطالبه، كما أبرزت الرواية السقوط الخطير لكثير من أفراد الهامش المغربي في مهاوي الرذيلة بكل أشكالها وأصنافها.

1- اعتمدت على : مجلة "دليل الكتاب"، www.dalilakitab.net

# فهرست المصادر والمراجع

أولاً: المصادر.

1-بنجلون الطاهر: أن ترحل، تر: بسام الحجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2007.

ثانياً:المراجع العربية:

1 -المعاجم:

- 1-ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، مج4، دار صادر، بيروت، ط1، 1990.
- 2-ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.
- 3-الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ط1، 1992.
- 4-علوش سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب العرب اللبناني، بيروت، ط1، 1985.

2-الكتب و الدراسات:

- 1-أقلمون عبد السلام: الرواية والتاريخ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010.
- 2-الأحمر فيصل: الدليل السيميولوجي، دار المنتدى، الجزائر، دط، دت.
- 3-الأعرج واسيني: كريماتوم/ سوناتا لأشباح القدس، منشورات دار الفضاء الحر ودار البغدادي، الجزائر، ط1، 2008.
- 4-باختين ميخائيل: أشكال الزمان والمكان في الرواية، فصل من كتاب علم الجمال ونظرية الرواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

- 5- باختين ميخائيل، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2009
- 6- باختين ميخائيل، الكلمة في الرواية، جزء من كتاب علم الجمال ونظرية الرواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1986.
- 7- باختين ميخائيل، شعرية دوستوفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ودار الشؤون الثقافية، ط1، 1986.
- 8- بركات وائل وآخرون: آليات الحوارية وتمظهراتها في خماسية "مدن الملح" وثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف، دار الأمل، الجزائر، 2014.
- 9- بن خليفة مشري: الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2007.
- 10- تودوروفتريفيتان: الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال، ط2، 1990.
- 11- جاكبسون رومان: قضايا الشعرية، تر: محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال، المغرب، ط1، 1988.
- 12- دراج فيصل: نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999.
- 13- الزبيدي مرشد: اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط4، 1998.
- 14- سعيد إدوارد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000.
- 15- الغدامي عبد الله: الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، 1998.
- 16- كوهن جون: النظرية الشعرية، تر: أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، ط4، 2000.

17-ناظم حسن: مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994.

### 3-الرسائل الجامعية:

1-أبو يونس خليل عرعار، جمالية المسكوت عنه في رواية "أن ترحل" للطاهر بن جلون، رسالة

ماجستير، معهد اللغة العربية تيزي وزو، 2013-2014.

### 4-المجلات والدوريات:

1-بوحوش رابح: الشعرية وتحليل الخطاب، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، عدد 414، 2005.

2-بوحوش رابح: الشعرية والمناهج اللسانية، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، عدد 414، 2005.

3-الغانمي سعيد: الشعرية والخطاب الشعري في النص العربي الحديث، مجلة نزوى للكتاب، عدد

3، 2010.

### ثالثا:مراجع باللغة الأجنبية:

1-Mikhaïl Bakhtine :esthétique et théorie du roman, traduit par Daria olivie, Gallimard, Paris,1978.

### رابعا: المواقع الإلكترونية:

1-ويكيبيديا الموسوعة الحرة، بتاريخ 22 مارس 2015، <https://ar.wikipedia.org>

2-مجلة دليل الكتاب، [www.dalilalkitab.net](http://www.dalilalkitab.net)

# فهرست الموضوعات

05	مقدمة
	تمهيد: الشعرية/ رحلة المفهوم.
	البحث في دلالة مفهوم الشعرية
09	أ- الدلالة اللغوية
10	ب- الدلالة الاصطلاحية
11	1- الشعرية في الفكر الغربي
17	2- الشعرية في الفكر العربي
	الفصل الأول: المستويات اللغوية وأنماطها في رواية "أن ترحل".
21	المبحث الأول: تجليات المستويات اللغوية
28	المبحث الثاني: لغة الجماعات الاجتماعية
	الفصل الثاني: تمظهرات شعرية اللغة في رواية "أن ترحل".
36	المبحث الأول: مركزية اللغة/ اللغة الأمرة
52	المبحث الثاني: لا مركزية اللغة/ اللغة المقنعة داخليا
72	خاتمة
77	ملحق
80	فهرست المصادر والمراجع
84	فهرست الموضوعات